ليست النصرانية ولا الوثنية :
الاسلام ينتشر في أوساط العبيد الأفارقة في الأمريكتين

بقلم : د . جورج هـ . جون
جامعة شمال كولورادو مارس ١٩٩٥ م

ترجمة

الدكتور حامد عبدالعزيز الأنصاري
مدرس بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

يتواجد المسلمون بشكل عام في قارة إفريقيا (٢٧٨,٢٥٠,٨٠٠ نسمة) وفي جميع مناطق قارة آسيا (٦٣٦,٩٧٦,٠٠٠ نسمة) . أما في العالم الجديد ، فيوجد في الولايات المتحدة حوالي ١٠,٠٠٠,٠٠٠ مسلم ، بينما يوجد في دول البحر الكاريبي ما لا يقل عن ٤٠٠,٠٠٠ مسلم . ففي سورينام وحدها يوجد ١٠٠,٠٠٠ من المؤمنين (٢٥٪ من عدد السكان) ، وفي ترينيداد وتوباغو يوجد ١٠٠,٠٠٠ آخرون ، وكذلك يوجد ٥٠,٠٠٠ في فينزويلا و١٢٠,٠٠٠ في جويانا ، ويتوزع الباقون في كل من باربادوس وغرناطة والدومونيكان وبورتوريكو والجزر الأمريكية العذراء وجامايكا[1] . وكان الأفارقة هم أول من أدخل الإسلام إلى بعض بلدان العالم الجديد .

عندما يحلل الكثير من المؤرخين ديانات الأفارقة والأفارقة الأمريكيين ، فإنهم عادة ما يركزون على الديانات الإفريقية البدائية ويركزون أيضاً على تحول الأفارقة في أمريكا إلى النصرانية . ويثيرون في نقاشاتهم قضية تشكل كنيسة السود في أمريكا وتطورها . ولكنهم عادة ما يغفلون النقاط التالية :

١ - أن عدداً من الأفارقة كانوا يعتنقون النصرانية قبل أسرهم .

٢ - أن بعض الأفارقة قد حافظوا على معتقداتهم الدينية البدائية كلياً أو جزئياً .

٣ - أن عدداً كبيراً من الأفارقة كانوا مسلمين .

حتى الأعمال العلمية من مثل : كتاب « مسلمو أمريكا » *The Muslims of America* لإيفون حداد Yvonne Haddad أهمل في استعراضة التاريخي أي إشارة إلى المسلمين الأوائل من إفريقيا . أما كتاب «الإسلام في أمريكا الشمالية : مصدر أولي » *Islam in North America: A Sourscbook* والذي حرره كل من ميشيل أ . كوسيجي Michael A, Koszegi و ج . جوردون ميلتون J. Gordon Mel-ton فقد قدم قائمة قصيرة من المراجع وبعض المعلومات التاريخية القليلة مع أنه يقر بالإسهامات المبكرة للأفارقة . وكذلك فإن المقال الذي كتبه أكبر محمد Akber *Muhammad* بعنوان « المسلمون في الولايات المتحدة : التاريخ ، الدين ،

(1) Lary Luxner, "Muslims in the Caribbean," *Aramco World* 38 (September 1987), 3.

السياسة ، الأصول العرقية « Muslims inthe United States: History, Religion, Politics and Ethnicity» يدعي أن الفضل في تأسيس الجالية الأمريكية المسلمة يرجع إلى جهود الإنسانيين والناقمين على المجتمع والدين من الأمريكيين ذوي الأصل الأوروبي . كما أنه يؤكد أن الأمريكيين الأفارقة لم يكونوا سوى الوارثين الدينيين لهؤلاء البيض الأوائل[٢] .

هناك اتحاد تاريخي بين الإسلام والأفارقة ، فوفقاً للتراث الإسلامي ولابن إسحاق ـ كاتب سيرة محمد ـ فإن أثيوبياً يدعى بلال بن رباح كان أول من أذن للصلاة في الإسلام . بلال ـ الذي ولد في مكة ـ كان من أوائل المتحولين للإسلام ، الدين الذي بشر به في سنة ٦١٠ م تاجر محلي من مكة يدعى الرسول محمد . وفي عام ٦٢٢ م خلال الهجرة ـ هجرة محمد وأتباعه من مكة إلى المدينة ـ صحب بلال الرسول طوال العقد التالي كحامل دعوته وخادم ومؤذن له . ولكن هناك بعض الغموض في تاريخ بلال بعد وفاة النبي في عام ٦٣٢ م ، لكن يبدو أنه ربما يكون قد صحب الجيوش الإسلامية إلى سوريا ومن المحتمل أن يكون قد توفي فيها فيما بين عامي ٦٣٨ و٦٤٢ م .

> *أجمل ساعة في حياة بلال جاءت في كانون الثاني (يناير) من عام ٦٣٠ م ، في مناسبة يُنظَرُ إليها كواحدة من أعظم اللحظات في التاريخ الإسلامي ، بعد أن فتحت القوات الإسلامية مكة ، اعتلى مؤذن الرسول ظهر الكعبة لينادي المؤمنين للصلاة ، وكانت المرة الأولى التي يسمع فيها الأذان في أقدس مدينة في الإسلام*[٣] .

كان آلان د . أوستن Allan D. Austin أحد المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لأوائل المسلمين الأفارقة في أمريكا في كتابة الممتاز « المسلمون الأفارقة في أمريكا ما قبل الحرب[٤] « *African Muslims in Antebellum America* ومع ذلك فإن وجود

(2) Akbar Muhammad, "Muslims in the United States: History, Religion, Politics and Ethinicity," *Journal Institute of Muslim Minority Affairs* 12:2 (July 1991): 439.

(3) Barry Hobeman, "The First Muezzin," *Aramco World* 34 (July-August 1983): 3.

(٤) يقصد الحرب الأهلية الأمريكية (المترجم) .

المسلمين الأفارقة العبيد في العالم الجديد يعد تاريخاً مجهولاً . ولكن ولحسن الحظ فإن أسماء بعض المسلمين العبيد قد تم توثيقها،كما أن أسماء العديد منهم قد بدأت في الظهور . من هذه الأسماء : صالح بلالي من ماسينا Macina (١٧٧٠-١٨٤١) وأيوب سليمان من بوندا Bondo (١٠٧١- ١٧٧٣) ، وعبدالرحمن من فوتا جالون Futa Djalon (١٧٦٢-١٨٢٩) وعمر بن سعيد من فوتا تورو Futa Toro (١٧٧٠-١٧٦٤) والأمين كيبي من فوتا جالون (١٧٧٥-١٨٣٥) والعبد الجامايكي أبو بكر الصديق من تمبوكتو Timbuktu (١٧٩٠-١٨٤١) وبلال من فوتا جالون (١٨١٤-١٨٥٩) وهو عبد برازيلي وطالب في إحدى الكليات الأمريكية[٥] .

الإسلام في إفريقيا :

إن انتشار الإسلام في إفريقيا موثق بشكل جيد ، لكن معظم الأدبيات تركز على بلاد المغرب وليس على مناطق ما تحت الصحراء الكبرى[٦] . في غرب إفريقيا - المنطقة التي جاء منها عدد كبير من العبيد الأفارقة - حقق الإسلام نجاحات متنوعة وإنه لمن الواضح جداً أن عدداً كبيراً من سكان غرب إفريقيا كانوا مسلمين .

> *إن قصة اختراق الإسلام لإفريقيا السوداء - جنوبي الصحراء الكبرى - مازالت بحاجة إلى بحث مركز وشامل . ويبدو أن الإسلام في شرق إفريقيا كان قادراً على تحقيق تقدم يسير في البداية وذلك بسبب تجارة الرقيق بشكل أساسي ، ولكن بمجرد أن تم تحريم الاسترقاق أصبحت الدعوة إلى الإسلام نشطة في الداخل.وكذلك في غرب إفريقيا فإن فترة النشاط الإسلامي من*

---

(5) Randall M. Miller and John David Smith, eds., *Dictionary of Afro-American Slavery* (New York: Greenwood Press, 1988), 370-371.

(٦) المغرب هو الجزء الغربي من العالم الإسلامي ويتكون من الجزائر وليبيا والمغرب وتونس . وعندما كان المسلمون يحكمون إسبانيا كانت تعد جزءاً من المغرب (المؤلف) .

خلال حركـات الجهاد المختلفة حدثت خلال القرن التاسع عشر . إن من الصفات المميزة لانتشار الإسلام في إفريقيا كانت المزج بين الحركات الصوفية والمفهوم القويم للجهاد ، وربما كان ذلك بسبب التركيبة القبلية للمجتمع الإفريقي(٧)

لقـد حافظ الإسلام (الاستسلام) في العالم بشكل جوهري على المفهوم المركزي لـ : « طريقة مقدسة في الحياة ، تمثل رسالة الله الخاتمة لرسوله محمد التي سجلت في القـرآن . وبالنسبة للمسلمين (الذين أسلموا أنفسهم [لله]) فإن الإسلام يعد هو « السبيل » وذلك لأنه يزودهم بالعقائد والممارسات التي بواسطتها تتحقق النجاة للأفراد والمجتمعات .

المسلمـون الأفارقة ـ كالمسلمين في كل مكان ـ يسعون لتطبيق الأركان المحددة التالية كواجب من واجبات الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة خمس مرات في اليوم أولها قبيل بزوغ النهار ، والمحافظة على الصوم عن الطعام وغيره خلال شهر رمضان وإيتاء الزكاة والحج إلى مكة . بالإضافة إلى ذلك فإن المسلم الجيد عليه ممارسة بعض الشعائر الموقوتة بالتقويم القمري والامتناع عن المحرمات ، وأداء الفرائض ، ومراعاة النهـج الإسـلامي في الشعائر مثل التسمية ، والإيمان بقدرة القوى الغيبية الخـارقـة ، مثـل التعـاويذ والكهانة ، والإيمان بقدرة الأولياء والصالحين ، والجهاد لنشر الدين إذا لزم الأمر(٨)

---

(7) Faslur Rahman, *Islam,* end ed. (Chicago: University of Chicago Press, 1979), 8.
(يدعو القرآن المؤمنين للجهاد والذي يقصد به أن تهب المال والنفس في سبيل الله ، والهدف منه إقام الصـلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي تطبيق النظام الإسلامي الاجتماعي ـ الأخلاقي) ص ٣٧ .

(8) Ali A. Mazrui, Cd., *The Africans*: *A Reader*(New York: Pracger, 1986), 65.
لا حاجة إلى الإشارة إلى أن الإيمان بمثل هذه القوى التي أشير إليها في هذا النص المنقول ، ليست من العقيدة الإسلامية في شيء ، بل لقد جاء الإسلام لمحاربتها وإقصائها . ولا يطلق وصف (عالِم الغيب) على غير الله سبحانه وتعالى (المترجم) .

كان للإسلام أثر كبير على وضع النساء في منطقة ما تحت الصحراء الكبرى في إفريقيا . ففي كثير من المجتمعات الإفريقية التقليدية يتمتع الرجال بدرجة أعلى من درجة النساء ، ولكنهن يشاركن بشكل فعال في العديد من مجالات المجتمع . أحد الأدوار التي يقمن بها هو دور الوسيط ، ويقصد به الشخص الذي يقوم بالصلة بين العالم الروحي والإنساني . وفي هذا المجال قد يكون للإسلام تأثير سلبي أو إيجابي بناءً على النظرة الشخصية للمرء[٩] .

> *التحول (للإسلام) يعني اتباع الشرع والممارسات الإسلامية ، بما في ذلك التحول من النظام الأموي* Matrilineal *إلى النظام الأبوي* Patrilineal *الإسلامي . ونتيجة لذلك فقدت النساء المتحولات (للإسلام) القوة السياسية والاجتماعية التي كن يتمتعن بها في مجتمعاتهن التي تتبع النظام الأموي* Matrilineal *. وبشكل خاص فإن لبس الحجاب أو البردة للمرأة قد زاد من القيود عليها . ولكن الإسلام وفر لهن تعويضات في مجالات أخرى ، مثل : الحقوق القانونية في الزواج والطلاق والحماية ضد الاستعباد (الرق) والحث على تحرير الإماء اللاتي يحملن من أسيادهن[١٠] .*

(٩) هذا الدور الثانوي أو الهامشي الذي لا يكاد يذكر ربما كان من آثار انتشار السحر في إفريقيا . ولا صلة له بالإسلام على كل حال (المترجم) .

(10) Michael L. Connif and Thomas J. Davis, *Africans in the Americas: A History of the Black Diaspora* (New York: St. Martin's Press, 1994), 24.

مصطلح «النظام الأبوي» Patriiineal يستخدم في حالة انتساب الأبناء إلى الأب ، أما مصطلح «النظام الأموي» Matrilineal فإنه يطلق على حالة ينتسب فيها الأبناء إلى الأم ، كما وجد في بعض المجتمعات البدائية ، حيث كان خروج الرجل أو الأب إلى الصيد يعرضه إلى المخاطر مما قد يؤدي إلى عدم عودته إلى أهله ثانية ، وقد دعا ذلك هذه الجماعات إلى نسبة الأبناء إلى أمهاتهم . وفي هذا الصدد يرى بعض علماء الأنثروبيولوجيا أن مرحلة انتساب الأبناء إلى الأم تمثل مرحلة في تاريخ تطور الأسرة سابقة ، تطورت بعدها الأسرة إلى نسبة الأبناء إلى الأب (المترجم) .

انظر في هذا الصدد : أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع ، الهيئة العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ج . م . ع ، ط ٣ ، ١٩٧٩م .

نشأت الصوفية في بلاد فارس والعراق خلال القرنين الثامن والتاسع كطريقة مدهشة للوصول إلى الحقيقة الروحية للإسلام . وحدث هناك انقسام بين علماء اللاهوت والفقهاء وبين أولئك الذين أعطوا للدين مزيداً من التركيز على الشخصيات في مجال الورع الديني . وكان هذا بمثابة رد فعل على الإحساس بوجود مفاهيم شرعية تجنب التركيز على الشخصيات مما قاد لنشوء الصوفية . أحد هذه المفاهيم الأساسية هو الإيمان بالمهدي ـ المؤيد من الله ـ وهو الشخص الذي سيظهر قرب نهاية العالم ليعيد السيادة للعدل والإسلام فوق القوى غير الإلهية(١١)، لقد كانت الصوفية قادرة على التأقلم مع المعتقدات والممارسات الشعبية لأنصاف المتحولين [للإسلام] وحتى مع الجماهير المتحولة اسمياً فقط .

> *. . . أثبتت الصوفية بأنها الطريق الأكبر لانتشار الإسلام وتحديداً بفضل اتباعها الحلول الوسطية . ففي الهند ووسط آسيا وتركيا وإفريقيا جلبت الصوفية الملايين إلى أحضان الإسلام بسرعة مذهلة ومازالت تعتبر قوة داعية إلى الهدى في إفريقيا(١٢) .*

لعب التجار من الصوفيين وغيرهم من الفولانيين Fulbe والمانديين Mande التجار دور الهواة من المبشرين والدعاة وحملوا المذاهب الإسلامية الأقل قبولا من المناطق الشمالية للصحراء الكبرى إلى غرب إفريقيا . وبسبب النقص في الدعاة المسلمين في العديد من المناطق ، تجمع المئات من الإخوان حول مرشدين دينيين معينين والذين قاموا بنقل وتوضيح علاقتهم الشخصية بالله إلى أتباعهم(١٣) .
بينما كانت النصرانية تطلب من المتحولين إليها تخليص أنفسهم تماماً من ممارساتهم السابقة ، فإن الإسلام ـ حسب المفهوم الصوفي على الأقل ـ ترك مجالاً للتأقلم مع العادات الإفريقية(١٤). وهناك عدد من الطرق الصوفية في العالم .

(11) Rahman, *Islam, 129-131.*

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(13) Bohanan and Curtin, *Africa and Africans,* 318,

(١٤) لاتكاد تجد مستشرقاً أو مبشراً ـ أو كاتباً مسيحياً بوجه عام ـ كتب عن الإسلام في إفريقيا ، وبخاصة حين يكون الحديث عن انتشار الإسلام في هذه القارة ، إلا ويتحدث عن هذا =

ففي منطقة الزنوج الإفريقية تجد تنوعاً في التوجه السياسي.فتوجد بعض الطرق تستعمل القوة وأخرى تحب السلام[١٥] .

> *من خلال الصوفية الشعبية ، تمكنت المعتقدات والطقوس الروحية للبربر والأفارقة من فرض طابعها الخاص على الإسلام في إفريقيا ، فالمرابط من البربر والرجل المقدس أو القائد الديني The Alfa من المسلمين الزنوج يعد أساسا امتدادا لشكل من أشكال الجماعات الدينية قبل الإسلام مثل الرجال المقدسين والأطباء السحرة في معتقدات الزنوج المشعوذة[١٦] .*

وهناك أمثلة أخرى محددة حيث اندمج الإسلام مع المعتقدات الإفريقية الأهلية والتي أعطت له نكهة إفريقية .

> *على امتداد إفريقيا امتزج الإيمان بالله مع الإله الخالق عند الأفارقة الكونيين Cosmologies ، ولكن غالباً ما يستخدم اللفظ الإفريقي للإله بشكل متبادل مع لفظ الله . جنباً إلى جنب مع لفظ وينام Winnam ، ويستخدم السواحليون الموجودون في شرق إفريقيا لفظ الله ومونجيو Mungu كألفاظ مترادفة . وكذلك فإن القوى الخارقة في الديانات الإفريقية الأهلية قد مالت إلى الأسلمة معتمدة على المبادئ القرآنية . فعودلت الأرواح الخيّرة بالملائكة والأرواح الشريرة بالجن . والأئمة المسلمون ـ وهم أشخاص يتمتعون بقوى روحية ـ يحددون مصادر الشر ويسعون لطردها باستخدام آيات من القرآن[١٧] .*

كانت غانا ومالي وسونغاي Songhai تمثل ثلاثاً من ممالك السافانا الرئيسة في غرب إفريقيا . وصل الإسلام إلى غانا من خلال الطرق التجارية في القرن التاسع ، عاكساً عملية الأسلمة التي حدثت في كل من إسبانيا والبرتغال . كان الولوف Wolofs من أوائل المتحولين [إلى الإسلام] في غرب إفريقيا ، وقد تحولوا

= التأقلم الموهوم كسبب من أسباب هذا الانتشار ، وفي سياق بحثهم وتنقيبهم ـ فقط ـ عن أسباب خارجة عن طبيعة الإسلام ذاته . علماً بأن هذا التأقلم الذي انتهت إليه المسيحية قد لا ننفيه عن بعض رجال الطرق الصوفية في عصر متأخر حين أصابها الانحراف والتشويه (المترجم) .

(15) Ranman, *Islam,* 157.

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٦٣ . المرابطون كانوا من العلماء المسلمين الرحالة والذين كانوا يعملون أيضا بالتجارة . (المؤلف) .

(17) Mazrui, *The Africans,* 66.

بواسطة التجار العرب . واستطاع التجار الماندیون Mende من مالي والفولانيون Fulbe كسب المتحولين [للإسلام] عن طريق القدوة الحسنة أثناء جولاتهم في أسواق غرب إفريقيا . وسبب التوسع الذي حصل في امبراطوريتي مالي وسونغاي بانتشار الإسلام في منطقة سنيغامبيا Senegambia واستطاعت مالي هزيمة غانا في حوالي عام ١٢٣٥ م وبدورها فقد سيطرت عليها سونغاي في القرن السادس عشر . كان أسكيا محمد Askia Muhammad أحد أشهر القادة المسلمين في سونغاي وهو الذي قام بتحويل مدينة تمبوكتو Timbuktu ـ المركز الرئيس للدراسات العربية والإسلامية ـ إلى جنة المفكرين حيث بلغ سكانها مائة الف نسمة . وقد تولى أسكيا العرش في عام ١٤٩٣ م وقام بتحويل مملكته إلى واحدة ربما كانت من أكبر وأقوى الممالك في العالم المعروف(١٨) .

لقد سادت المآذن العالية للمسجدين الكبيرين وجه المدينة . وتوزعت البيوت ذات الأسطح الخشبية المستوية في جميع الأنحاء ابتداء من المسجد الكبير . وكان المسجد الأقدم مسجد سانكور Sankore ـ والذي كانت جامعة سانكور ملحقة به ـ مركزاً للمفكرين . . . وفي الشوارع الضيقة لهذه العاصمة السودانية ، اختلط العلماء بالتجار الأغنياء السود وكذلك بالأولاد الصغار الذين كانوا يجلسون في الظل يتلون القرآن . وقدم الشباب من معظم مناطق العالم الإسلامي إلى مدينة تمبوكتو لدراسة القانون والجراحة في جامعة سانكور ، وقدم العلماء من شمال إفريقيا وأوروبا للتحاور مع المؤرخين والكتاب في الامبراطورية السوداء(١٩) .

مع حلول القرن الثامن عشر كان الإسلام قد تمكن في منطقة غرب إفريقيا من السنغال الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي ممتداً ٢٠٠٠ ميل شرقاً ليصل إلى تشاد والكاميرون . ولقد توسع الإسلام أيضاً إلى أعالي غينيا وأعالي ساحل العاج . كان تجار ماندي الذين يمارسون تجارة الملح والذهب في غينيا هم المسؤولون عن انتشار الإسلام في تلك المنطقة ، وكان أهالي ماندي بحاجة إلى

(18) Conniff and Davis, *Africans in the Americas*,27; and Clyde-Ahmad Winters, "A Survey of Islam and the African Diaspra," *Pan-African Journal*8 (1975): 426.

(19) Lerone Bennett, Jr., *Before the Mayflower: A History of Black America*, 5th edition (New York: Penguin, 1961), 18.

العبيد لحمل الذهب شمالاً والملح جنوباً ، وبعد تحولهم إلى الإسلام أعتق العديد من هؤلاء العبيد ، ولدى عودتهم إلى بلادهم قاموا بنشر الإسلام في مجتمعاتهم . وقد اخترق الإسلام العديد من القبائل الإفريقية بشكل كامل في أغلب الأحيان ، وأثر على أولئك الذين كانوا يسكنون المدن فقط أو الذين ينتمون إلى طبقات معينة .

> *كان نفوذ المسلمين سائداً وكبيراً (من الشرق إلى الغرب) وشمل الولوف والتوكولر* Tokolor *والفولب أو الفولاني* Fulbe or Fulani *والعديد من الخطباء المانديين (السونيك* Sonike *والديولا* Dyula *والماندينكا* Mandinka *وفئة معينة من سكان منطقة نهر النيجر والعديد من الهوسا والكانوري* Kanuri [٢٠] .

كان الفولب [الفولانيون] يقطنون منطقة نهر السنغال إلى شمال الكاميرون ، وكانوا من أوائل الذين قبلوا الإسلام من الأفارقة الغربيين . وتنحدر أصولهم من قرب منطقة الفوتاتورو في أوساط نهر السنغال ، وهي منطقة تشتهر بمجتمع زراعي ، ويتكلم أهلها لغة الفولا Fula . وفي اللغة العربية تعني كلمة تكروري Takruri المسلمون الزنوج ، وهي مشتقة من الكلمة العربية لفوتا تورو . وبالرغم من استقرارهم بشكل أساسي - باستثناء الفترات التي كانت

(20) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery,* 370.
الولوف كانوا يمثلون طائفة عرقية من المسلمين الأفارقة من السنغال والذين تم استرقاقهم في بيرو ومنطقة البحر الكاريبي . كان أصحاب المزارع يعتقدون بأن لهم تأثيراً خطيراً بسبب تمردهم وميلهم للهرب . الفولب كانت تمثل طائفة عرقية ومملكة إفريقية في نفس الوقت . وتم استرقاق العديد منهم في العالم الجديد . الفولا (الفولاني)، مجموعة تعمل بالرغي في غرب إفريقيا وكانوا مسلمين . وأولئك السودانيون الذين يتميزون بالشعر الناعم والوجوه الناحلة والأنوف البارزة ، كانوا يشابهون الأوربيين في بعض الصفات الخِلْقية ، وقد نقل العديد منهم إلى البرازيل . وفي بداية القرن التاسع عشر قادوا عدة ثورات ضد أصحاب المزارع والحكومات . كان العديد منهم من المتعلمين جيداً ، وكانوا يعملون في صناعة الحديد ، ويمتازون بمعرفتهم الواسعة في تربية الماشية ، وكان منهم رجال الدين والمدرسين والمشتغلين بالسياسة ، كما أورد بنيامين نونيز .

Binjamin Nuniz, *Dictionary of Afro–Latin American Civilization,* 200 – 201, and 207; and Winter, "A Survey of Islam," 427.

تجبرهم المتغيرات الجوية فيها على الهجرة - فإن بعض الفولانيين كانوا دعاة مسلمين يسافرون كرجال علم وتجار وصانعين للرّقى . وإن العديد منهم قد استقر بهم المقام بعيداً عن بلادهم حيث كونوا جاليات دائمة من المعلمين الذين يعيشون في مجتمعات غريبة عنهم(٢١) .

كان الاسكتلندي مونجو بارك Mungo Park من أوائل الرحالة الأوروبيين إلى إفريقيا ، والذي قام بتوثيق سجالاته مع المسلمين . ولد بارك في عام ١٧٧١ م ، وانطلق في شهر مايو ١٧٩٥ لاكتشاف مجرى نهر النيجر لحساب مؤسسة الحث على اكتشاف أدغال إفريقيا . وعاد من الرحلة إلى بلدته في يارو Yarrow في يوم عيد الميلاد سنة ١٧٩٧ م ، وقام بتأليف كتاب عن رحلاته . وفي عام ١٨٠٤ م قام ببعثة جديدة إلى إفريقيا ومن هناك وصل خبر وفاته إلى أهله في عام ١٨٠٦ م(٢٢) . وقد وصف أربع مجموعات كان قد قابلهم في منطقة غامبيا .

> *إن سكان الأقطار المحيطة بغامبيا ، رغم أنهم موزعون بين عدد كبير من الحكومات المتباينة ، يمكن في اعتقادي تقسيمهم إلى أربع فئات كبيرة ، الفيلوب Feloop والجالفي (الولوف) Jaloffs والفولانيين Fulahs والماندنيين Mandignos . وفي أوساط جميع هذه الأمم كان دين محمد ومازال في تقدم ملحوظ؛ ولكن في العديد من هذه الأمم فإن عامة الناس - الأحرار منهم والعبيد - حافظوا على الخرافات الخادعة ولكن غير الضارة لأجدادهم ، وكان أتباع محمد يشيرون إليهم بالكفار(٢٣) .*

وبالرغم من أن بارك Park كان إلى حد ما موضوعياً ، ولم تكن أساليب دراسة المجتمعات غير المألوفة قد حددت بعد ، فإنه رغم ذلك استطاع أن يقدم ملحوظات قيمة ، وقد لاحظ أنه بالرغم من أن الإسلام قد حقق تقدماً ناجحاً

(21) Bohannan and Curtain, *Africa and Africans,* 320-322.
(22) Mungo Park, *The Travels of Mungo Park* (London, England: E. P. Dutton and Company, 1907), vii-ix.

(٢٣) المصدر السابق ص ١١ .
(٢٤) المصدر السابق ص ١٣ .

فإن الكثير من الناس كانوا لايزالون يمارسون دياناتهم السابقة ، ومن الملاحظات الأخرى أن الإسلام كان له تأثير كبير على نظام الحكم عند الماندين .

> *لم يكن للزنوج أي لغة مكتوبة خاصة بهم ، لذلك فإن القانون العام لاتخاذ القرارات كان يتم بناء على العادات والتقاليد القديمة ، ولكن بسبب التقدم والانتشار الكبير للنظام المحمدي بينهم ، فقد أدخل المتحولون لهذا الدين ـ وعن قناعة دينية ـ وبشكل تدريجي العديد من الأنظمة المدنية للنبي ، وفي حالة عدم وجود نص صريح بشكل كافٍ في القرآن كان يتم الاعتماد على تفسير وشرح له يسمى الشرع ، والذي يحتوي ـ كما أخبرت ـ على شرح وترتيب للقانون المحمدي بشقّيه المدني والجنائي ، مرتباً ترتيباً جيداً وواضحاً[٢٤] .*

كان الماندينون هم أكبر القبائل من حيث العدد والقوة في سنيغامبيا ، وكانوا أول من واجه البرتغاليين في القرن الخامس عشر . كان الماندينون والفولانيون والسوسو Susu مسلمين ، وفي الوقت الذي بدأ الاتصال الأوروبي (مع إفريقيا) كانوا قد وصلوا إلى مناطق المجموعات غير الإسلامية في منطقة فوتا جالون من غينيا العليا وسيراليون . ونظراً لأن القرآن سمح للمسلمين بشن الحرب على غير المسلمين ، قام التجار السود المسلمون باتباع عادة الأسر العام والذي شجعته حاجة الأوروبيين للعمال . كان الوثنيون هم أول ضحايا تجارة الرقيق بما فيهم الولوف والجاليون . كان الرقيق يباعون إلى التجار المسلمين والذين كانوا أيضاً من الدعاة إلى الدين . وكان بعضهم من المولّدين من الماندين والبرتغاليين[٢٥] .

وقد لوحظ أن الماندين كانوا متعلمين يستطيعون قراءة اللغة العربية وكتابتها إضافة إلى ترجمة لغتهم إلى العربية . كانوا مزارعين ومربين للحيوانات (ما عدا

---

(25) Walter Rodney. "Upper Guinea and the Significance of the Origins of Africans Enslaved in the New World," *The Journal of Negro History*54 (October 1969): 333.

المانـديون الذين استعبدوا في جزر الهند الغربية (West in dies) والبرازيل ، كانوا طوال القامة ، شجعانـاً . ومفضلين للعمـل المحـلي . كانوا معروفين بنزعتهم إلى تكوين مجموعة انتحارية للتخلص من العبودية . وفقاً لـ :

Nuniz, Dictionary of–Latin American Civilizatio'n 296.

الخنازير) ويمارسون التجارة بما فيها تلك التي تحتاج لرحلات تجارية إلى مسافات بعيدة . وحسب مبادئ الشرع الإسلامي فإنهم كانوا لا يشربون الخمر ويصومون شهر رمضان كما أن الرجال والنساء كانوا يختتنون(٢٦) .

كان المسلم الماندي يتميز بالاحترام والتقدير في أوساط سكان غينيا العليا لكونه مانحاً للحماية الروحية بواسطة الحُجب والكتابات القرآنية . كان أي رجل دين إفريقي (مارابو Marabou) يقع لسواء حظه في الأسر في أمريكا الإسبانية لابد أنه كان ذا سلطان في غينيا العليا . كان التجار الإنجليز في القرن الثامن عشر يسمون التاجر المسلم في غينيا العليا برجل الكتب Book-man ، بسبب عمله . وإنه لما يُشعر بوجود مكيدة ما معرفة أن Bookman هو اسم القس الإفريقي الذي خطط لاندلاع الثورة الكبرى في سانت دومينجو Saint Domingue في عام ١٧٨٩ م بعد وصوله إليها عبر جامايكا(٢٧) .

وقد وقع أيضاً في الشّرك كل من الباتشريين Pathcharis سكان وادي غامبيا الوسطى والباسريين Baasris سكان أعالي الوادي وكذلك البامباراسيون Bam-baras . وفيما بعد كان المسلمون يُستعبدون بسبب جنايات طفيفة وأخرى كبيرة . وبالرغم من أن الإسلام كان مستأثراً بقادة الولوف إلا أنهم لم يرضوا ويقتنعوا به نهائياً إلا في القرن الثامن عشر . وحافظ العامة رغم ذلك على معتقداتهم التقليدية . وقد حاول الجاليون Djolas مقاومة سيطرة الماندين وسيطرة الإسلام ، كما أنهم رفضوا المشاركة في تجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي . وبسبب عدم قدرتهم على حماية أنفسهم فقد أصبح الآلاف منهم من الرقيق . كان الفولانيون وهم جماعة أخرى من غامبيا أيضاً من المسلمين . وبحلول القرن السادس عشر الميلادي أصبحوا مزارعين يعملون لصالح الماندين ، وكانوا يشاركونهم أحياناً في أسر العبيد . وقد تفادى الكثير منهم البيع كرقيق بسبب حماية الماندين له . كان

(26) Gwendolyn Midlo Hall, *Africans in Colonia Louisiana: The Development of Afro-Creole culture in the Eighteenth Century* (Baton Roughe: Louisiana State University Press, 1992), 38-39.

(27) Rodney, "Upper Guinea and the Significance of the Origin of Africans," 336.

السـيراكيولـه Seraculeh ـ وهم الفـرع الشـمالي للمانـديين ـ يعيشون أيضاً في سنيغامبيا وقد اشتغلوا في تجارة الرقيق في منطقة أعالي النهر التابعة لوادي غامبيا .

مارس الحكام والكبراء التجارة بعامة الشعب ، وغالباً ما كان ذلك يتم بغض النظر عن كون الإسلام معترفاً به أم لا . وأحيانا كانت تحدث بعض الأخطاء حيث يتم استعباد أحد النبلاء ، هذا ما حدث مع أيوب بن سليمان Job Ben Solomon الذي كان رجلاً غنياً من الفولا من منطقة غامبيا . وقد عبر النهر مع قافلة من العبيد والتي كان ينوي بيعها لوالده . وقد تم أسر ابن سليمان نفسه بواسطة التجار المانديين وبيع للقبطان بايك Pike قبطان السفينة أرابيلا Arabella ، وهـو الشخص نفسـه الذي كان ابن سليمان يبيعه من يأسرهم من العبيد ، ومما يذكر أن الاثنين كانا يتجادلان طويلا قبل أن يتفقا على السعـر . . . وكـان الأوروبيون حريصين جداً على تصحيح مثل هذه الأخـطاء قبـل العبور إلى الوسط ، إذا وقع أحد النبلاء في أيديهم عن غير قصد . وكان الدافع لهذا الحرص هو الخوف من قيام فئة الصفوة من السود من الانتقام ، وكذلك رغبة الأوروبيين في حماية مصالحهم التجارية . ولذلك بينـما كان الجاليون والولوف والجماعات الصغيرة غير المسلمة يمثلون أعداداً هائلة من العبيد من سنيغامبيا أثناء القرن الثامن عشر ، بالرغم من ذلك فإن جميع القبائل الرئيسة في المنطقة كانت ممثلة في قائمة العبيد[٢٨] .

الاتصـــال الأوروبـي بالأفــارقة :

كان الاتصال الأوروبي المكثف بالأفارقة قد بدأ في القرن الثامن الميلادي ، قبل العصر الحديث لتجارة الرقيق . فقد شهد عام ٧١١ م اجتياح المسلمين ـ العـرب والـبربـر من شمال إفريقيا وحلفائهم من الأفارقة الآخرين وكان يطلق عليهم المغاربة (Moors) ـ حيث سيطروا على إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا ومنطقة البلقان ، وبعبورهم مضيق جبل طارق ، هزموا القوطيين الـغـربـيين Visigoths حيث وصـلوا إلى بيرنـيه Pyrenees وهـنـاك أسـسـوا امبراطوريتهم . كان مركز تلك الامبراطورية الإسبانية المسلمة هو مدينة قرطبة .

(28) Marget Washington Creel, *"A Peculiar People": Slave Religion and Community-Culture Among the Cullahs* (New York University Press, 1988), 38-40.

وبدأت محاولات إعادة السيطرة على إسبانيا منذ عام ٧٢٢ م والتي بدأها دون بيلايو Don Pelayo ولكن هذه العملية لم تنته إلا بعد ٨٠٠ سنة تقريباً . وفي عام ٧٣٢ م استطاع تشارلز مارتل Charles Martel (الملقب بتشارلز المطرقة Charles the Hammer) وهو حاكم فرانكش Frankish وجدّ شارلمان Charlemagne أن يوقف تقدم الاجتياح (الإسلامي) في معركة تور بواتيه Tours–Poitiers وبعد الاجتياح المغربي لإسبانيا تم استعباد الأفارقة السود من منطقة ما تحت الصحراء الكبرى والعـرب والـبربـر والسـلافيين Slavs والإسبان النصارى وذلك مع بدء العصر الذهبي الإسباني[٢٩] .

هذه الحضارة بنيت على صهر السكان الإسبان والبربر في الثقافة العربية والإسـلامية وسـاهم في ذلك الازدهار الاقتصادي العظيم . وتتميز إسبانيا الإسلامية بهالة من المجد ، بمسجدها العظيم في قرطبة والحدائق والنوافير والساحات في مدينة الحمراء وشعر الموشحات والزجل بأبيات الشعر العربية المتميزة بالأسلوب القصصي أحيانـاً ، والحـدائق المـروية في سفيليا Saville وبلنسية Valencia ، والشهيرة أيضاً بالفلسفة الحكيمة والعلوم ـ هذه هي المآثر التي اشتهـر بها الإسـلام الإسباني . وكانت إسبانيا هي بؤرة نقل الفلسفة اليونانية من العالم العربي إلى أوروبا[٣٠]

الإسـبان وتجـارة الرقـيق :

استمر الإسبان في استيراد الرقيق الأسود إلى إسبانيا بعد عام ١٤٩٢م[٣١]، وبشكل خاص إلى سافيل ومقاطعة الأندلس ، وبسبب قلق السلطات الإسبانية

(29) Conniff and Davis, *Africans in the Americas, 16-17;* and Manuel Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," in *South and Mese-American Native Spirituality: From the cult of Feathered serpent to the Theology of Libaration,* ed. Cary H. Gossen, 140-169 (New York: Crossroad, 1993), 143.

(30) Ira M. Lapidus, *A History of Islamic Societies* (New York: Cambridge University Press, 1988), 378.

(٣١) العام الذي خرج فيه المسلمون من الأندلس ، من آخر معاقلهم في غرناطة التي كانت بيد بني الأحمر . وكان ذلك في الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) في مطلع العام المذكور (المترجم) .

من انتشار البدع بين السكان الهنود في العالم الجديد ، قامت بتمديد قوانين الرق القديمة في كاستيلينيا Castilinia لتشمل تلك المنطقة . كان هدف إسبانيا في البداية هو فقط إدخال فئة اللادينز Ladinos أو النصارى الذين يتحدثون الإسبانية إلى جزر الهند الغربية Indies وليس البوزال Bozales ، السود الخام القادمين مباشرة من إفريقيا . كان يتم شراء البوزال في إفريقيا ويباعون في المستعمرات الإسبانية في العالم الجديد . ولقد تخلى الإسبان عن هذه السياسة لأسباب صحية واقتصادية في عام ١٥١٠ م .

ولما وجد التاج (الإسباني) أن اللادينز يصعب السيطرة عليهم وثمنهم مرتفع ، تم إعادة تقييم هذا التوجه وإقرار أن البوزال على نفس المستوى البدائي من حيث الدين الذي كان عليه الهنود في العالم الجديد - قبل تنصرهم - ولهذا لم يكن هناك خطر من أن يلوثوا سكان جزر الهند الغربية من الناحية الدينية[٣٢] .

ولكن بسبب شدة الطلب على الزنوج في العالم الجديد ، اضطر الإسبان إلى التغاضي عن موقفهم في منع شراء البوزال . ولكنهم أصروا على حظر شراء فئة واحدة ، هذا الحظر كان على المسلمين . كان التخوف الأساسي هو من اعتقادهم بأن الإسلام سوف ينتشر من الأفارقة إلى الهنود المتنصرين[٣٣] . في عام ١٤٩٢ م استطاعت إسبانيا أخيراً هزيمة الدولة الإسلامية الأوروبية التي استمرت [أكثر من] ٧٠٠ عام، وكان بعض الجنود الإسبان النصارى في العالم الجديد قد حاربوا ضد الإسلام .

لقد أعاد أسلوب المستعمر الإسباني في مواجهة الحياة البدائية والوحشية في أمريكا إلى الأذهان ذكريات إعادة السيطرة (على الأندلس) . ويمكن

---

(32) Herbert S. Klein, *Slavery in the Americas: A Comparative Study of Virginia and Cuba* (Chicago: Quadrangle Books, 1967), 65-67.
(33) Colin A. Palmer, *Slaves of the White God: Blacks in Mexico,* 1570-1650 (Cambridge: Harvard University Press, 1976), 7.

القول دونما لبس بأن صورة الأندلس التي كانت محفورة في أعين الجنود (الذين أعادوا الأندلس) ظهرت مرة أخرى في أعين المسيطرين على العالم الجديد(٣٤) .

ويبدو أنه كان هناك أسباب كثيرة لمنع المسلمين من دخول العالم الجديد على أساس الصراع الديني . عاش النصارى والمسلمون فترات صراع مريرة في إسبانيا بين عامي ٧١١ م و١٤٩٢ م على المستويين العسكري والديني ، وكلاهما كان يعتبرها حرباً مقدسة . ولقد أثر الاجتياح الإسلامي لإسبانيا في العلاقة الحميمة النامية بين الكنيسة والدولة في إسبانيا والتي كان لها جذور في إنشاء الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وكذلك في تتويج شارلمان في سنة ٨٠٠ م . إن عملية إعادة السيطرة صحبت معها نموذج الدولة الدينية بأقصى أبعادها وذلك لأن إسبانيا شعرت بالحاجة إلى تقوية الوحدة الدينية والسياسية للدولة الوطنية الناشئة . . ولهذا فقد تم في يوينو ١٤٩٢ م طرد ما بين ١٥٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ يهودي من إسبانيا بسبب خطرهم المتوقع على الكاثوليكية ، واحتمال تمردهم وضلالهم بعقيدة آثمة . أما المسلمون فقد واجهوا مصيراً آخر .

في عام ١٤٩٩ م قام الكاردينال كيزنيروس Cardinal Cisneros ـ رئيس الأساقفة (المطران) في غرناطة بإجبار الموزاريين Mozarabs ـ وهم الذين كانوا يمارسون النصرانية في إسبانيا المسلمة ـ على التحول إلى الكاثوليكية . وبعد تعميدهم عرفوا باسم الموريسكيون Moriscos وكان يشك بأن العديد منهم كانوا محافظين على إيمان عميق بالإسلام . و بعد سياسات قاسية جداً ، قام المغاربة Morish بثورات في إسبانيا كتلك التي حدثت في البجارة Alpujarra في عام ١٥٦٨ م . وفي سنة ١٦٠٩ م و١٦١٣ م أمر بطرد جميع المسلمين ـ وعددهم حوالى ٣٠٠٠٠٠ ـ من إسبانيا.وبالرغم من أن الخوف من تحول النصارى إلى الإسلام كان هو السبب الرئيس في ذلك ، فقد كان هناك أيضا تخوف من تأييد

(34) Rafael Guevara Bazan, "Muslim Immigration to Spanish America," *The muslim World* 56 (July 1966): 173.

الأتراك لثورة إسلامية[٣٥]. هذه المعتقدات والتوجهات لدى الإسبان النصارى أسهمت في تشكيل النظرة تجاه دور المسلمين في العالم الجديد .

كان الإسبـاني فرانسيسكـانز Franciscans يؤمن بحتمية نهاية العالم ، أما كولومبوس Columbus فقد كان يؤمن بأن نهاية العالم ستحدث في منتصف القرن السابع عشر . كان بعض الإسبان يؤمنون بأن الله قد أوكل إلى إسبانيا دور إبقاء العالم على الديانة النصرانية قبل تحقق النبوءة . وكان الخلاص يكمن في الانتصار على اليهودية والإسلام بشكل خاص . وكان الهدف من رحلات كولمبوس وغيره من المكتشفين الإسبان هو كسب السيادة العالمية من الناحية السياسية والدينية للنصرانية من أجل الإعداد لنهاية العالم المتوقعة . كان كولمبوس وغيره يؤمنون بأنه فقط عندما يتم رحلته الأولى يصبح التبشير بالإنجيل إلى الأمم التي تعيش فيما وراء البحار ممكنا ، وبالتالي يتم تنصير الوثنيين . ولم تكن هزيمة المسلمين في إسبانيا تمثل نهاية الصراع المقدس ين النصرانية والإسلام ، ولكنها كانت تمثل بداية الحرب الصليبية الأخيرة . فقد هزمت إسبانيا ـ بمساعدة الله ـ[٣٦] الإسلام في إحدى مناطق البحر المتوسط وسوف تقوم قريباً ـ إذا حالفها الحظ ـ بهزيمته في الجانب الشرقي من البحر . والخطوة اللاحقة ستكون في تحرير مدينة القدس وهي المدينة المقدسة للنصرانية ، ومن ثم تلعب الكنيسة دوراً سياسياً في خدمة الله . ونقل المسلمين إلى العالم الجديد كان سيمثل تناقضاً مع هذه الأهداف .

> *. . . لم تكن القدس وإسبانيا الجديدة مناطق جغرافية لا علاقة بينهما ، ولكنهما كانتا متحدتين في قصة درامية أخروية ، خطط لها الله وقامت إسبانيا بتنفيذها*[٣٧] .

كانت العلاقة الحميمة بين الكنيسة والدولة واضحة في باترروناتو ريجو Par- tronato Regio ، والتي منحت فيها إسبانيا بعض الصلاحيات للكنيسة في أواخر

---

(35) Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," 144-145

(٣٦) العبارة للمؤلف (المترجم) .

(37) Roger A. Johnson, "Inter-Religious Conflict and the Voyages of Columbus," *The Muslim World* 83 (January 1993): 1-4, 15.

القرن الخامس عشر . ولذلك فقد كانت الامبراطورية الإسبانية تمثل مشروعاً تبشيرياً . وقد تطورت ياتروناتو ريجو إلى ريجو ڤيكارياتو انديو Regio Vicariato Indio في القرن الثامن عشر ، حيث تحول ملك إسبانيا إلى القس De Facto Viar الذي ينوب عن روما في جزر الهند الغربية(٣٨) .

وبالرغم من القوانين التي سنتها إسبانيا ، فقد تمكن بعض المسلمين - الذين من المستحيل إحصاء عددهم - من دخول العالم الجديد خلسة على شكل عبيد أو تجار أو بحارة . وأراد الكثيرون من هؤلاء المهاجرين ممارسة شعائرهم الدينية بحرية في العالم الجديد . وتمكن بعضهم من القيام بذلك بشكل أو بآخر في مستعمرات منطقة البحر الكاريبي(٣٩) . في عام ١٥١٨ م اشترطت إحدى الوثائق الإسبانية أن يتم استعباد الأفارقة المسلمين إذا قاموا بتحويل الهنود إلى الإسلام . ولكن الهنود لا يتم استعبادهم حتى ولو تحولوا إلى الإسلام(٤٠) . ويمثل ذلك أحد

(38) Marzal, "Transplanted Spanish Catholicism," 145.
(39) Bazan, " muslim Immigration to Spanish America," 175.
(40) Clyde-Ahmad Winters, "Afro American Muslims --- From Slavery to Freedom," *Islamic Studies,* 188-189.

رسالة من الملك فيليب الثاني لمارتن إنريكيوز Martin Enriques مؤرخه في ٤ يوليو ١٥٧٠ م بينت السياسية المتعلقة بالهنود الذين يتحولون للإسلام . الفقرة التالية مقتبسة من : Bazan, «Muslim Immigration to Spanish America», 186.

كما أنك طلبت منا أن نكون واعين لوجود موربين [اسم أطلقه الإسبان على المسلمين العرب المغاربة قديماً ثم أصبح بعد ذلك يطلق على المسلمين عموماً إلى عهد قريب (المترجم)] في تلك الأرض (الجزيرة) والذين جاؤوا للتجارة والذين يعرفون التبشير بالإنجيل المقدس ويسببون لكم القلق . إننا نخولك أن تستعبد هؤلاء الموربين وأن تصادر ممتلكاتهم . وننصحك بأنه إذا كان هؤلاء الموريون موربين بالجنسية والولادة ، وجاؤوا (إلى الجزيرة) لنشر عقيدتهم الإسلامية ، أو ليحاربوك أو يحاربوا الهنود الذين يتبعون لنا أو في خدمتنا الملكية فإن لديك السلطة لكي تسترقهم . لكن الذين هم هنود في الأصل واعتنقوا العقيدة المحمدية لا ينبغي أن تسترقهم بأي شكل من الأشكال . إضافة إلى أنه ينبغي عليك أن تسعى لتحويلهم أو إقناعهم بالأساليب الحسنة والمشروعة لاعتناق عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة .

الإثباتات القديمة بأن الأفارقة كانوا ينقلون الإسلام إلى السكان الهنود الأصليين في منطقة البحر الكاريبي ومنطقة أمريكا الجنوبية . وقد عبر كل من العرش والكنيسة عن خوفهم من الإسلام «Islamophobia» .

لقد كانت السلطتان المدنية والكنسية تعارضان معارضة شديدة التزاوج بين الأفارقة والهنود بشكل خاص . وكانت الكنيسة تخشى من أن يعزز الإفريقي صلة الهندي بالوثنية وربما ينقل له عدوى الكفر (الإسلام)[٤١] .

سواء أكان المسلم أسود أم أبيض فقد منعت إسبانيا في عام ١٥٣١ م استيرادهم إلى جزر الهند الغربية ، وفي عام ١٥٣٢ م تم منعهم من دخول بورتوريكو ، وفي عام ١٥٤٣ م قام تشارلز الخامس Charles V بطرد جميع البربر والمغاربة من جميع المناطق الخاضعة لإسبانيا فيما وراء البحار .

اعتقد الإسبان بأن المسلمين كانوا ينشرون الإسلام في أوساط السكان الأصليين وهناك بعض الأدلة على حدوث ذلك إلى حد ما . وكان الإسبان ينظرون إلى المغاربة والبربر والعرب والموريسكيين Moriscos بأنهم يمثلون عرقاً دينياً مرتبطاً بشكل وثيق بدين محمد[٤٢] . وقد أعطى القانون الذي تم تشريعه في عام ١٥٣١ م للحاكم الإقليمي لـ Tierra Firme Friar الصلاحيات نفسها التي أعطيت في عام ١٥٠١ م إلى نيكولاس دي أوفاندو Nicolas de Ovando وكان الحرص على إنشاء عالم نصراني واضحاً .

إن اهتمامنا الأكبر هو السعي لتحويل الهنود إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة . وإذا كان تحول بعض الأشخاص إلى عقيدتنا مشكوكاً فيه ـ بسبب

(41) Fredirick P. Bowser, *The African Slave in Colonial Peru,* 1524-1650 (Stanford, CA: Stanford University Press, 1974), 283.

(42) Bazan, "Muslim Immigration to Spanish America," 176-177; and Clyde-Ahmad Winters, "Islam in Early North and South America," *Al-Ittihad*14 (July-October 1977): 65.

الموريسكيون مصطلح أطلق على المورين الذين تحولوا إلى النصرانية ، ولا ينطبق على الذين بقوا مسلمين حقاً ، لاحقاً أطلق هذا المصطلح على المورين عموماً . (المؤلف) .

بعض العقبات ـ فيجب عليكم عدم الرضى بذلك أو السماح بوجود مكان للمغاربة أو اليهود أو الضالين أو المرتدين ، أو السماح لأولئك الذين تحولوا حديثاً إلى ديننا بالخروج إلا إذا كانوا من العبيد الزنوج أو من العبيد الزنوج الذين ولدوا تحت سيطرة أتباعنا من النصارى الأصليين(٤٣) .

لاحظ الإسبان مبكراً في عام ١٥٢٦ م وجود المتمردين من السيمارونيين Cimarrones في منطقة هسبانيولا Hispanialo وغيرها ، وقد ساعد أولئك جميع أعداء إسبانيا . وكان ذلك يحدث في العادة حيث لا يوجد اللادينز Ladinos . ويبدو أنه منذ بداية الكشوفات الأوربية كان المسلمون الأفارقة يعاملون بحذر . حتى بعض الجماعات الإفريقية المعينة التي كان يُظن بأن لها روابط إسلامية والتي من المحتمل أن تقوم بالسعي للتخلص من العبودية كانت تعامل بحذر . وفي عام ١٥٤٣ م أمر تشارلز الخامس Charles V حاكم إسبانيا بطرد المسلمين من أمريكا كما أمر بتغريم من يخالف هذا الأمر(٤٤) .

وفي عام ١٥٥٠م صدر قرار يمنع نقل العبيد الزنوج من سردينيا Sardinia وماجوركا Majorca ومينوركا Minorca وبعض المناطق الأخرى في حوض البحر المتوسط وذلك بحجة أنهم من المغاربة أو متزوجون منهم حتى لو كانوا من زنوج غينيا(٤٥) .

كان أي تحدّ للنصرانية يواجه بعقوبة شديدة . فمثلاً في عام ١٥٦٠ م أدان المكتب المقدس Holy Office كلاً من بيرو Peru ولويس سولانو Luis Solano ولوب

---

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٧٩ «Terra Firme» : تقع على سواحل كولومبيا وفنزويللا .

(44) Bowser, *The African in Slave in Colonia Peru,* 148; and Bazan, " Muslim Immigration to Spanish America," 176.

بدأ إبعاد العبيد من البربر والموريين من أمريكا في عام ١٥٠٥ م بسبب عقيدتهم الإسلامية . ومنع استيراد العبيد من الولوف بمرسوم صدر في عام ١٥٣٢ م ، لكنهم كانوا يباعون على أية حال وفقاً لـ : Bowser, *The african Slave in Colonial Peru,* 360.

(45) Klein, *Slavery in America,* 67, 69

دي لابينا Lope de la Pena بنشر دين محمد في كوزك Cuzco . كان والد سولانو من الإسبان وأمه سوداء بينما دي لابينا كان مغربياً من كوادالا جارا Guadalajara. وقد أعدم سولانو بينما حكم على دي لابينا بالسجن مدى الحياة(٤٦) . وفي عام ١٥٦٥ م تم طرد جميع الـولـوف من تشيلي(٤٧) لأنه كان يُظن بأن الكثير منهم مسلمون . مع ذلك فقد كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل القضاء على الإسلام هناك .

> *وفي عام ١٨٤٥ م لاحظ أحد الرحّالة بأن السود في بيرو كانوا لايزالون يمارسون الإسلام ، وأنهم أيضا كنوا يصلون لآلهة أجنبية بلغتهم الأصلية ، وأنهم قاموا بتطوير النصرانية وطقوسها . وكانوا يشاركون في موكب كوازيمودو Quasimodo بعد عيد الفصح Easter متنكرين على هيئة شياطين وعمالقة ، كانوا يقومون بذلك اعتماداً على عادات إفريقية(٤٨)*

في عام ١٦١٩ م سجـل جون رولف John Rolfe قدوم سفينـة ألمـانية إلى مستعمرة فرجينيا تحمل ٢٠ من الزنوج . وكان الألمان قد خطفوا هؤلاء الأفارقة من سفينة إسبانية . وكان أمر هؤلاء الأفارقة مشكوكاً فيه ، فعلى الرغم من أنهم كانوا عبيداً دائمين للإسبان قاموا بتعميدهم على اعتبار أنهم نصارى . وحسب القانون الإنجليزي فإن أي شخص يتم تعميده أو تنصيره يمكن أن يصبح حراً وأن يعامل كشخص حر . وحسب ما يرى القاضي A. Leon Higginbotham فإن القانون الإنجليزي اعتمد هذا الرأي منذ فترة بعيدة من سنة ١٦١٢ م ، وبما أن فرجينيا كانت مستعمرة إنجليزية فهي ملزمة باتباع هذا القانون . ففي قضية قريبة من ذلك في عام ١٦٢٤ م قضت المحكمة في فرجينيا بأن جون فيليب John Phillip ـ وهو من الزنوج ـ يعد مؤهلاً لتقديم الشهادة بكونه رجلاً حراً ونصرانياً ،

(46) Bowser, *The African Slave in Colonia Peru,* 66.
(47) Winters, "Islam in Early North and South America," 66.
(48) Peter Blanchard, *Slavery and Abolition in Early Republican Peru* (Wilmington, DE: Scholarly Resources Books, 1992), 99.

وذلك لأنه قد تم تنصيرة في إنجلترا قبل اثني عشر عاماً(٤٩)

كان الرأي السائد لدى الكثيرين من الأمريكان البيض هو أن الأفارقة كانوا وثنيين وأن استعبادهم هو طريقة نصرانية لإنقاذ أرواحهم . وفي رأيهم فإن مشاركة الأفارقة في ممارسات الوثنيين أثناء طقوس عبادتهم ، كان من الأسباب التي تبرر استعبادهم . في عام ١٦٦٧ م ناقشت جمعية فرجينيا Virginia assembly هذا المفهوم وأقرت سن القانون رقم ٣ Act III . وبحلول عام ١٧٠٦ م أقرت كل من ولاية ماري لاند Maryland وشمال كارولينا North Carolina وجنوب كارولينا South Carolina ونيويورك New York ونيوجرسى New Jersey بالمبادىء التي وردت في هذا القانون . وبناء على القانون رقم ٣ فإن التنصير لا يؤثر على استعباد السود أو الهنود . وقد ورد في هذا القانون مايلي :

> *. . . تم إقرار أن التنصير لا يغير من حالة الشخص من حيث سلب حريته ، يمكن للسادة الذين لا تساورهم هذه الشكوك الدعوة إلى النصرانية بحذر أكبر بالسماح للعبيد بالدخول إلى ذلك السر المقدس*(٥٠) .

بهذا كان باستطاعة النصارى الذين يقتنون العبيد تنصيرهم دون أن يخشوا أن يُعتقوا ، وأصبح من واجب النصارى تنصير العبيد حتي يتم تطهير أرواحهم وتنقيتهـا . وكان الفساد المفترض للأفارقة من الناحية الدينية قد جعلهم هدفاً قانونياً لإعادة التأهيل الروحي من خلال الرحمات الحنونة للاستعباد . هذا إلى جانب أن النصـارى كانـوا يعدون الإسلام المؤامرة الكبرى للكفار . وبتنصير العبيد مع عدم تحريرهم أصبح من الممكن التقرب إلى الله وتحقيق الربح معاً(٥١) .

---

(49) A. Leon Higginbotham, Jr., *In the Matter of C olor: Race and The Colonial Legal Process: The Colonia Period*(New York: Oxford University Press, 1978), 20-21.

(50) Ibiad,; and Benjamin Quarles, *The Negro in the Making of America*(New Y ork: Collier Books, 1964), 36.

(51) Bennett, *Before the Mayflower,* 46; and C. Eric Lincoln, *Race, Religion, and American Dilemma*(New York: Hill and Wang, 1984), 156.

ومع أن النفوذ الإفريقي الإسلامي لم يصمد كثيراً في عهد العبودية ، وأن الحملة الأساسيين لهذه التقاليد قد كانوا يعتمدون على كتابات المفكرين من أمثال إدوارد ولمونت بليدن Edward Wilmont Blyden وهو من المدافعين عن الإسلام الإفريقي في أواخر القرن التاسع عشر . ولكن قادة الحركة الإسلامية الأولى Proto-Islamic Movement هم الـذين مهـدوا الطريق نحو قبول أوسع للإسلام ، كان ذلك أثناء حركة الهجرة إلى المدن التي قام بها السود في القرن العشرين[٥٢] .

بـداية دخـول الإسـلام إلى الأمـريكتين :

لا يعلم أحد متى وصل أوائل المسلمين إلى الأمريكتين ، ولكن يبدو أنهم قد وصلوا بالتأكيد مع أوائل المكتشفين الأوربيين ، إن لم يكن قبلهم . ورحلة كولمبوس نفسها ربما قد تأثرت بالعالم العربي الإدريسي ، والذي كان مستشاراً للملك روجر Roger ملك صقلية في القرن الثالث عشر . ووفقاً لما ذكره أحد المؤرخين ، فإن كولمبوس كان معه على ظهر السفينة نسخة من كتاب الإدريسى الـذي يتحـدث فيه عن اكتشـاف بلاد جديدة بواسـطة ثمانية من المكتشفـين المسلمين . وكان معه أيضاً على ظهر السفينة مترجم لقراءة تلك الوثيقة وهو عربي مرتـد تحول إلى الكـاثوليكية يسمى لويس توريز Louis Torres [٥٣] . وتتحدث

(52) C. Eric Lincoln and Lawrence H. Mamiya, *The Black Church in the African Americam Experience* (Durham, NC: Duke University Press, 1990), 389.

(53) Lansine Kaba, "Americans Discover Islam through the Black Muslim Experience," in *Islam in North America: A sourcebook,* eds. Michael A Koszegi and J. Gordon Melton (New York: Garland Publishing, 1992), 25-26.

وفقاً لما يقوله العالم روفائيل جيفارا بازان Rafael Guevara Bazan, فإن أول رجل أبصر وجود أرض جديدة أثناء رحلة كولمبوس الأول هو لوذريق ساتشز Rodrigo Sanchez (Rodrigo de Triana, or Rodrigo de lepe من سيغوفيا Segovia ، وهو رجل بحار من ليب Lepe ، وقد أصبح مسلماً . وبعد عودته إلى إسبانيا حول ولاءه الديني وذلك لأن كولمبوس لم يقدره تقديراً كافياً ولم يمنحه من أموال الملك . وبالرغم من أن السبب المذكور ربما لا يكون حقيقياً فإن الوثائق التي تتحدث عن قصة تحوله موجودة في : Bazan's "Some Notes for a History of the Relations Between Batin America, The Arabs and Islam" *The Muslim World* 61 (Octobdr 19711): 289.

الروايات الإسلامية عن وصول المغاربة إلى العالم الجديد قبل كولومبوس بفترة طويلة ، ولكن يبدو أن القليل منهم كان في الولايات المتحدة قبل الخمسينات من القرن التاسع عشر ، ما عدا الآلاف من العبيد القادمين من غرب إفريقيا .

كان العديد من المسلمين الذين تم استعبادهم على درجة عالية من التعليم والمعرفة باللغة العربية . وكان هؤلاء المسلمون الأفارقة من السنّة التابعين لمذهب الإمام مالك ، وبالرغم من أنهم كانوا يتكلمون لغات محلية متنوعة إلا أنهم كانوا يستطيعون التفاهم مع بعضهم البعض بواسطة تلاوة بعض الأدعية والصلوات والأقوال المأثورة باللغة العربية . . لقد ضغطت عمليات التبشير الشديدة التي قام بها النصارى البروتستانت على العبيد من غير النصارى بما فيهم المسلمين من أجل ممارسة دينهم في الخفاء وبشكل غير منتظم ، وذلك خلال القرن التاسع عشر ، وبذلك فإن عدداً قليلاً من الشعائر الإسلامية أمكن الحفاظ عليها خلال فترة العبودية واستمرت هذه الشعائر بين الأمريكيين السود حتى الوقت الحاضر (٥٤) .

وعلى سبيل المثال ، فإن البعض يعتقدون بأن هناك دليلاً على أن المسلمين القادمين من إسبانيا وغرب إفريقيا قد وصلوا إلى أمريكا الجنوبية في القرن العاشر الميلادي (٥٥) .

كان من بين أوائل الواصلين اصطفان العربي Istifan the Arab . وهو مغربي كان مرشداً للراهب الفرنسيسكاني Franciscan كارلوس دي نيزا Car- los de Niza ، وقد أرسله في عام ١٥٤٩ م والي إسبانيا الجديدة لاكتشاف ما يعرف الآن بولاية أريزونا (٥٦) .

كان اصطفان هو الشخص نفسه الذي يشير إليه المؤرخون بـ استيفانيكو (ستيفن الصغير) Estevanico (Little Stephen) ، وهو المكتشف الأسود القديم

(54) Imtiyaz Yusuf "Islam in Ammerica: A Historical-Social Perspactive," *Hamdard Islamicus*4 (Winter 1989): 80.

(56) Nadim Makdisi, *"The Muslims of America," The Christian Century* 34 (August 1959) 669.

الذي قاد الإسبان إلى نيو مكسيكو New Mexico وأريزونا Arizona وقد ولد في أزمور Azmore في المغرب في حوالى عام ١٥٠٠ م وربما كان قد أسر في عام ١٥١٣ م عندما سيطر الملك مانويل Manoel البرتغالي على المدينة . وقد كان أحد الكشافة التابعين لبانفيلو دي نارڤيز Panfilo De Navvaez وكابيذا دي فاكا Cabeza de Vaca ، وفي عام ١٥٣٨ م خرج باحثاً عما يسمى بـ Cibola أو مدن الذهب السبع كقائد للكشافة . ويعتقد البعض بأن هذا المسلم الإفريقي قد قتل على يد أعضاء غير رسميين من جماعة زوني نيشن Zuni Nation (٥٧) . كان بعض العبيد الذين وصلوا إلى أمريكا في العشرينات من القرن السادس عشر قد جاؤوا من سنيغامبيا . وهؤلاء كانوا يرفضون أكل لحم الخنزير أو شرب البيرة (٥٨) . وقد ذكر المؤرخ سي . إريك لنكولن C.Eric Lincoln . أنه قد وجدت عادات وتقاليد خاصة بالمسلمين السود في الأيام الأولى من اكتشاف أمريكا .

> *لماذا سمي بالإسلام الأسود؟ أولاً : لأن السود المسلمين والمغاربة Moors الموجودين بين الإسبان الفاتحين هم أول من أدخل الإسلام إلى العالم الجديد . وثانياً : لأن وجود الأوروبيين المسلمين في أمريكا كان محصوراً في تجمعات صغيرة لعقود طويلة ، وكان وجودهم يتسم بالهدوء والتقوقع وليس بالانتشار والظهور والمشاركة العامة (٥٩) .*

أوضاع العبيد المسلمين في الأمريكتين :

كان عدد العبيد المسلمين قليلاً جداً ، وقد يصل إلى نسبة ٢٠٪ من عدد السكان في بعض المزارع الجنوبية . وقدرت دراسة حديثة أن ١٠٪ من الذين تم استعبادهم من غرب إفريقيا وإرسالهم إلى الولايات المتحدة ما بين عامي

(57) Mary H. Cooper, "Muslims in America," *CQ Reasearcher* 3 (Aril 30, 1993: 369; and William Loren Katz, Black Indians: *A hidden Heritage*(New York: Atheneum, 1986), 90-94.

الزوني : قبيلة من الهنود الحمر الأمريكيين تقيم في الجزء الغربي من ولاية نيومكسيكو (المترجم) .

(58) Kaba, "Americans Discover Islam," 26.

(59) Lincoln, *Race Religion, and the Continuing American Dilemma,* 157.

١٧١١ م و١٨٠٨ م كانــوا من المسلمــين بشكل أو بآخر . هذه النسبة يمكن ترجمتهــا إلى حوالى ٣٠٠٠٠ مسلم . ولا يشمــل هذا العــدد أولئك الذين تم إرسالهم إلى جزر الهند الغربية West Indies أو البرازيل أو المناطق الأخرى [٦٠]. ولم يكن أحد يعرف عدد المسلمين العبيد لأن الأسياد لم يكونوا مهتمين أبداً بتوثيق المكتسبات الثقافية والروحية لمن يمتلكونهم [٦١]. ويعتقد أحد الباحثين بأن عدة آلاف قد أحضروا إلى أمريكا وحدها ، بينما يرى الأخرون بأن عددهم كان أقل من ذلك . ومع ذلك فإن مؤرخاً آخر يرى أن ٣٠٪ من الأفارقة الذين استعبدوا في أمريكا كانوا مسلمين [٦٢].

العــدد القليل نسبياً من المسلمــين ـ لا توجد لدينا إحصائية معتمدة ـ الذين أحضروا إلى أمريكا الشمالية كعبيد كانوا يتمسكون بثبات بشعائرهم وممــارســاتهم الــدينية التي امتازت بكونها منظمة بدرجة كبيرة . وكانت هذه الشعائر الدينية تدعو إلى إظهار الحرص العام على الإخلاص والعبادة ، مثل الصلاة إلى الله خمس مرات في اليوم ، وعدم أكل لحم الخنزير ، وكانت تمثل أيضــاً أحد مصادر القوة الرئيسة بالنسبة للعبيد . كان المسلمون يتعرضون للهزء والإساءة من قبل الأسياد بسبب هذه الممارسات ، ولكن هذه العادات الراسخة قد استمرت إلى يومنا هذا في بعض القطاعات من الجاليات السوداء[٦٣].

---

(60) Miler and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery,* 370; and Lincoln, *Race Religion, and the Continuing America Dilemma,* 155.

كان عدد كبير من المسلمين العبيد في البرازيل قد قدموا من مملكة بنين Benin الواقعة في منطقة توجو ـ الكــاميرون . وكانت بنين مزدهرة ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر ، وعندما بدأت تجارة العبيد تدمرت الامبرواطورية . كان أهل بنين مهرة في أعمال الحديد والذهب والبرونز وكانوا متقدمين جداً في علم المعادن أورد ذلك :

Benjamin Nunez, *Dictionary of Afro-Latin America Civilization*(Westport, CN: Greenword Press, 1980), 68.

(61) C. Eric Lincoln, "The Muslim Mission in the Context of America Social History," in *African America Religious Studies: An Interdisciplinary Anthology,* ed. Gayraud Wilmore (Durham, NC: Duke University Press, 1989), 342.

(62) M. Arif Ghayur, "Muslims in the United States: Settles and Visitors," *Annals of the American Academy of Political and Social Science*454 (March 1981): 152; and Y. N. Kly, "The African-American MUslim Minority: 1776-1900," *Journal Institute of Muslim Minority Affairs* 10 (January 1989): 153.

(63) Leslie H oward Owens, *This Species of Property: Slave life and Culture in the Old South* (New York: Oxford University Press, 1976), 160.

اتخذ بعض الأسياد من عندهم من العبيد المسلمين سائقين ومدراء للمزارع أو في مواقع أخرى تحتاج إلى الثقات . وكانوا يعتقدون ـ كما كان يعتقد العديد من الأوروبيين مدراء المستعمرات في غرب إفريقيا ـ بأن المسلمين السود هم أكثر أهلاً للثقة وأكثر نجابة من الأفارقة الآخرين (٦٤). وكان بعض الأسياد يخشون من أن يقوم المسلمون العبيد بتقويض النظام ، ولم يكن هذا التخوف بدون أساس ، ذلك لأن بعض المسلمين العبيد كانوا يقومون بالتمرد (٦٥). وفي بعض الأحيان ، كان الإسلام هو الدافع والمحرك للثورة والمقاومة في البرازيل وسانت دومينجو (هاييتي) Sain Domingue (Haiti) وسورينام وغيرها من المناطق في العالم الجديد . كانت سانت دومينجو مستعمرة فرنسية مهمة بالقرب من جامايكا ـ وتعد جزءاً من منطقة جزر الهند الغربية West Indies الفرنسية ، والتي كانت تعرف أيضا بجزر الأنتيل Antilles الفرنسية . وكانت مسرحاً لثورة كبيرة قام بها العبيد في عام ١٧٩١ م . وفي عام ١٨٣٥ م قام المئات من العبيد الأفارقة المسلمين بمواجهة الجنود والمدنيين في شوارع السلفادور عاصمة ولاية باهيا Bahia في البرازيل . كان المسلمون البرازيليون يُسمّون بالماليين أي القادمين من مالي . ربما يرجع الأصل في هذه التسمية إلى المسلمين الماندين في البرازيل أو أنه اشتق من المصطلح اليوروبي Yoruba إميل Imale . هؤلاء المسلمون كانوا يحبذون اتباع المسلمين السنّة في شعائرهم (٦٦).

كان المسلمون في البرازيل . . . يعرفون بـ الألوفين Alufos في ريودي جانيرو وبالماليين في ولاية باهيا . وكانوا يعبدون الله أو أولورم ـ أولوا Olorum-ulua (وهي عبارة عن دمج بين كلمة الله العربية وكلمة الأعلى بلغة اليوربا Yoruba وهي Olorum) . وكان لديهم مساجد تستعمل أيضاً كمساكن للأئمة . كان الألوفين Alufos يتزعمهم الليسانو Lessano ، يساعده اللادانو Ladano أو ما يسمى بالقندلفت Sacristan عند

(65) Eugene D. Genovese, *From Rebellion to Revolution: Afro-Amrican Slave Revolts in the Making of the Modern World*(Baton Rouge: Louisiana State Press, (1979), 29.
(66) Winters, "Afro-American Muslims," 188.

النصارى . وكانوا يصلون خمس مرات في اليوم . . كان المسلمون في باهيا يسمون ذلك إقامة الصلاة Fazer Sala . كان المسلمون في البرازيل أيضاً يطهرون أولادهم ويسمون ذلك كولا Kola ويصومون شهر رمضان Assumy من كل عام (٦٧)

ربما كان الماليون يرغبون في إقامة خلافة في ولاية باهيا ، ولكنهم كانوا أيضاً بحاجة إلى مشاركة غير المسلمين معهم في الجهاد غير المقدس بالنسبة لهم . كانت انتفاضة الباهيين هي الانتفاضة الرئيسة الثالثة على الأقل في تلك المنطقة ، وقد سبقتها ثورات وتمردات في عام ١٨٠٧ م و١٨٠٩ م و١٨١٣ م و١٨١٦ م و١٨٢٦ م و١٨٢٧ م و١٨٣٠ م (٦٨). وعلى الرغم من أن الإسلام قد هيأ لهم القيادة فإنهم كانوا مايزالون بحاجة إلى تضامن الطوائف الإفريقية الأخرى بغض النظر عن توجهاتهم الدينية التي ربما كانوا يشيرون إليها عادة بأنها ضرب من السحر أو الدنس .

كان الماليون يتزعمون كتلة التمرد ، ولكنهم لم يكونوا الوحيدين . كان رجال الطليعة من الماليين هم المسؤولون عن إثارة وبداية التمرد ، ومن ثم يتم حشد مجموعة أخرى من زملائهم وأتباعهم والمتعاطفين معهم في ساعات قليلة أو عند اشتداد المعركة . وكان عامة الناس ينضمون إلى التمرد لحظة حدوثه : حيث يخرجون إلى الشوارع عند سماعهم الضجيج ويبحثون عن مصدره لمعرفة ما يحدث ومن ثم يشاركون فيه (٦٩) .

وفيما يبدو كان العوام من طائفتي الهوسا Hausa واليوروبا Yoruba في إفريقيا من أكثر المسلمين حماساً . ففي أوائل القرن التاسع عشر ازداد تعدادهم ليصبحوا أكثر عدداً من المسلمين الماندين . مصطلح الهوسا كان مصطلحاً عاماً

---

(67) Winters, ''A Survey of Islam,'' 430.
(68) Genovese, *From Rebellion to Revolution*, 30.
(69) Joao Jose Reis, *Slave Rebellion in Brazil: The Muslim Uprising of 1835 in Bahia* (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1993), 123.

يطلق على العبيد من جماعات وطوائف متنوعة أحضروا من شمال نيجيريا ليصبحوا فيما بعد قادة التمرد والعصيان . كان المسلمون في إفريقيا قد اخترقوا أراضى الهوسا في القرن الرابع عشر وأنشأوا مراكز تعليمية مع حلول القرن السابع عشر . ولم يعتنق معظم السكان الإسلام إلا بعد أن سيطر الفولانيون على أرضهم في أوائل القرن التاسع عشر ، هذا على الرغم من أنهم كانوا على معرفة جيدة بهذا الدين لفترة طويلة [٧٠] .

قبائل اليوروبا Yorubas ـ الذين كانوا يسمون بالنيجوس Nagos في البرازيل ـ قاوموا نفوذ كل من الهوسا والفولاني في إفريقيا ، ولكن يبدو أنهم قد صاروا مسلمين في البرازيل . وتناسوا جميع المنافسات القديمة التي كانت بينهم في فترة العبودية حيث إنهم حاولوا العمل معاً بشكل جماعي من أجل التغلب على الكفار . لقد شكل السود الأحرار منهم والعبيد وكذلك الهوسيون Hausas واليوروبيون Yorubas المسلمون وغير المسسلمين بالإضافة إلى الهنود شكلوا جميعاً تحالفاً كان يهدد استقرار ولاية باهيا [٧١] .

> *هؤلاء السود ـ المنتمون للإسلام ـ كانوا هم المسؤولون بشكل كبير عن انتفاضة العبيد في المقاطعة البرازيلية باهيا . . . كان للهوسيين جمعيات سرية قوية مثل الأغبوني Ogboni والتي كانت تعمل بنفس طريقة مثيلاتها في غرب إفريقيا . وكانت لغتهم تستخدم في باهيا طوال القرن التاسع عشر وربما الثامن عشر أيضاً وعلى الرغم من قلة عددهم فإن نفوذهم كان كبيراً [٧٢] .*

الأغبوني جماعة دينية خاصه ، كانت مقصورة على الرجال كبار السن في مدن ولاية يوروبا Yoruba . وكل جماعية دينية مثل الأغبوني والإفا Ifa كان يقودها

---

(70) Genovese, *From Rebellion to Revolution,* 31.

(٧١) المصدر السابق .

(72) Benjamine Nufiez, *Dictionary of Afro-Latin American Civilization*(Westport, CN: Greenwood Press, 1980), 228.

مجموعة من رجال الدين بتنظيم هرمي ، كان بعض هؤلاء من القادة السياسيين المهمين . وكانوا يقومون بالوساطة بين الألافين Alafin ـ ويمثل نظرياً الحاكم المطلق والملك الأعلى ـ وبين الأيوميسي Oyo Mesi ـ وهم الرؤساء الرئيسون غير الملكيين في المجلس . وكانت أيو Oyo أكثر مدن ولاية يوروبا Yourba سكاناً . وكان واضحاً أن الألافين لم يكن لديه السلطة المطلقة على الأيوميسي ، مما أعطى الأغبوني دوراً عالي النفوذ في السلطة . وعندما نُقلوا إلى العالم الجديد استمرت جماعة الأغبوني بلعب دور قوي في بعض التجمعات بما فيها تلك الموجودة في ولاية باهيا [٧٣] .

سمح البرتغاليون في ولاية باهيا للأفارقة الذين ينتمون لنفس الطائفة بالعيش في مناطق خاصة سميت أمم Nations ، أو كابيتانياز Capitanias والتي كانت تتكون من أفراد من القبيلة نفسها . ولقد انتشر الإسلام من هذه القواعد إلي جميع مناطق البلد على شكل طوائف ومجموعات سرية . وقام الأئمة الذين قدموا من إفريقيا وأولئك الذين ولدوا في البرازيل بتعليم اللغة العربية لتلاميذهم وكذلك القرآن وأحكامه . في مناطق الأمم Nations الموجودة في الهوسا واليوروبا قاموا بإنشاء مدارس خاصة في بيوت القادة الدينيين .

> *لقد هيأت الثقافة الإفريقية القبلية واللغة والدين المشترك الرابطة الضرورية لتنظيمهم ومنحتهم الدافع للمقاومة ، وهذا ما كان مفقوداً بشكل كامل تقريباً بين العبيد في الولايات المتحدة . وكانت الوثائق التي تم ضبطها لدى الثوار في الباهرين Bahrain في عام ١٨٣٥ م مكتوبة بخط عربي مما كان له مدلول كبير . ومع أنه كان هناك بعض الشكوك في كون هذه الثورات ذات أساس ديني ، فإنه كان واضحاً أن عدداً كبيراً من قادتها كانوا مسلمين [٧٤] .*

وبعد فشل التمرد ، وجدت الشرطة أوراقاً ولوحات كتابة مليئة بالكتابة العربية . كان الماليون يكتبون على الألواح الخشبية بالحبر المصنوع من الأرز

(73) George Brandon, *Santeria from Africa to the New World; The Dead Sell Memories* (Bloomington: Indiana University Press, 1993), 21.

(74) Carl N. Degler, "Slavery in Brazil and the United States: An Essay in CXomparative History," In *Balcks in White America Before 1865,* ed. Robert V. Haynes (New York: David Mckay, 1972), 183; and Winter," Asurvey of Islam," 430.

المحروق . لقد سبب اكتشاف مجموعة متعلمة من العبيد - في مجتمع يتسم بالأمية بشكل كبير - ذعراً كبيراً . وهذا أشار إلى أنهم كانوا من المثقفين والمفكرين في إفريقيا . ولقد كان من المزعج أيضاً حقيقة أن المتحولين (للإسلام) كانوا يُعَلمون الكتابة والدين الإسلامي بتدريبهم على كتابة آيات من القرآن (٧٥) .

لقد كانت الإشارة للنساء في طقوس الماليين والمناسبات الإسلامية نادرةً ، وذلك بسبب التوجه البطريركي للإسلام . وكما هو حادث في الحياة بشكل عام ، فإن الشكل الذي يجب أن تكون عليه الأمور والشكل الذي هي عليه فعلاً قد يكونان مختلفين تماماً . هكذا كان الوضع عامةً بالنسبة للإسلام،وفي ولاية باهيا بشكل خاص . ولكن كانت هناك بعض الحالات الشاذة مثل لويزا ماهين Luiza Mahin وهي شخصية مرموقة في ثورة ١٨٣٥ م ، وكانت معروفة بميراثها الملكي وتم انتخابها كملكة في جالية السود التي كانت تنتمي إليها (٧٦) .

> *وفي عام ١٨٣٥ م وما بعده . . . قامت أمة اسمها إميركيانا Emereciana بإعطاء خواتم خاصة بالماليين تعبيراً عن الجدارة والأهلية للمنتمين الجدد ، وقد تم الحكم عليها بسبب نشاطها هذا بالجلد ٤٠٠ جلدة . كانت أميركيانا حالة استثنائية ، ولكن مع مرور الوقت أصبحت النساء أكثر انخراطاً ونشاطاً في النشاطات الإسلامية . وقد اعتبرهن كويرينو - الخبير في الأنساب - منخرطات بشكل كامل فيما أطلق عليه الجماهير المالية Male Masses . وفي ريودي جانيرو في نهاية القرن التاسع عشر أيضاً ، شاركت النساء في الجنائز ، وكن يأكلن ويرقصن في جو إسلامي أكثر انفتاحاً وتنوعاً (٧٧) .*

(75) Reis, *Slave Rebellions, 106-107.*

(76) William d. Piersen, Black Legacy: America's Hidden Heritage (Amherst: The University of Massachusetts Press, 1993), 85.

(٧٧) المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٧-١٠٨ .

الخواتم المذكورة كانت تلبس في الإبهام بالإضافة إلى الأصبع الثالث أو الرابع كإشارة سرية لمعرفة المنتمين . وكان من عادات الأفارقة أن يضُرب من يلبس الخاتم خواتمه بخاتم من يقابله من المسلمين تحية له . (المؤلف) .

يبـدو أن الثقـافة الإسلامية قد تمكنت من المحافظة على بقائها بعد إلغاء الـبرازيل للعبـودية ، ولكنهـا ضعفت بين تجمعـات العبيد السود في الولايات المتحدة . وحتى في القرن العشرين استمرت المدارس في ولاية باهيا في تعليم الدراسات الإسلامية والعربية (٧٨) .

كان بعض المشرفـين على العبيد يعتقـدون بأن المسلمين كان لهم تأثير مشوش على إدارة شؤون العبيد بشكل يماثل تأثير أي شخص ينصّب نفسه قائداً روحياً للعبيد . ولكن الآخرين كانوا يشعرون بأن العبد يبقى عبداً سواء كان مسلماً أو غير ذلـك . قام الـنظام المسيطر على العبيد باستعـراض فئة المسلمين المتعلمين الأسرى في محاولة لكشف واستغلال الفوارق الثقافية بينهم وبين غيرهم من الرقيق . ولكن هذا النوع من الهزء والسخرية كان غالباً ما يُخفي التخوفات بأن هذه الفوارق يمكن أن تؤدي إلى أعمال مقاومة . تلك المقـاومـة التي كان يعـززها المفهوم الإسلامي بأن الخضوع للسيد النصراني الكافر هو أعظم خيانة لله وللنفس (٧٩) .

كانت هايتي هي إحدى المناطق الأخرى في العالم الجديد التي اكتسب فيها الإسـلام موطئ قدم . وقـد أدخـل العبيد من داهومي والسنغال ذلك الدين وحفـظوه على الـرغم من الجهود الإسبانية لمنع انتشاره بطرق قانونية . في عام ١٧٥٨ م حدث أمر كبير وخطير لشخص يسمى ماكاندال Mackandal ـ وهو عبد مسلم ولد وتعلم في غينيا ـ كان نتيجة هذا الأمر أن تم حرق ماكاندال وهو حي . زيادة على التأثير الديني على الهايتيين فإن لغتهم الأم تحتوي على نسبة تصل إلى ١٠٪ من الألفـاظ العـربية ـ الإفـريقية Afro-Arabisms ، معظمها من أصول سودانية (٨٠) .

---

(78) Winters, "Afro-American Muslims," 197.
(79) Owens, *This Species of Property,* 160.
(80) Bazan, "Some Notes for a History of the Relations Between latin American, the Arabs, and Islam," 290.

عاش المسلمون في الكثير من جزر الهند الغربية بما فيها جامايكا . وفي العالم الجديد كانت البرازيل هي الوحيدة التي حدثت فيها ثورات للعبيد أكثر عدداً وشدة من تلك التي حدثت في جامايكا . كان متوسط عدد المشاركين في الثورات التي حدثت في القرن السابع عشر والثامن عشر يبلغ ٤٠٠ شخص . وبالمقارنة مع الثورات الكبيرة نسبياً التى كان تحدث في الولايات المتحدة فإن عد المشاركين كان حوالى ٧٠ من العبيد . وقد شارك في أخطر ثلاث ثورات - وهي حرب المارون الأولى Maroon وتمرد عام ١٧٦٠ م وتمرد عام ١٨٣٢ م - أكثر من ألف من العبيد . العبيد من الآكان Akan أو الموس آكان Mossi Akan ، وهم أعضاء من الجماعة الناطقة بلغة الآكان على ساحل العاج وغانا (بما فيهم الأشانتي Ashanti) أثاروا وقاموا بمعظم الثورات [٨١] . والعديد من هؤلاء كانوا مسلمين .

وقد تم استرقاق جماعات أخرى من المسلمين الأفارقة في جامايكا بما فيهم الماندين . وكانوا يعيشون مع جاليات المارون Maroon في جامايكا ، وربما كانوا من قادة أكثر الثورات هناك . وبالقرب من بلدة مانشنيل Manchinul قرب الميناء ، كانت هناك جالية تسمى جالية الـ مورتاون Moortown ، مما يشير إلى احتمال أن يكون المسلمون قد عاشوا هناك قبل تهجير معظم المارون . ترينيداد وتوباغو كان فيها أيضاً جاليات إسلامية نشطة . وقد اعتنق العديد من أهل ترينيداد الإسلام في الأربعينات من القرن الثامن عشر وقبل إحضارهم للعمل في مزارع السكر في السبعينات من ذلك القرن . ومع حلول عام ١٨٠٢ م وصل عددهم إلى ٢٠٠٠٠ . وفي أوائل القرن التاسع عشر شكل أهالي ترينيداد جمعية إسلامية للمتعلمين من العبيد المحرّرين . وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، كان يوجد في منطقة ميناء إسبانيا Port-of-SPain جالية من المسلمين الماندين الذين أسروا في السنغال . وكان قائدهم محمد بث Mohammad Beth قد اشترى حريته ، وقد حافظت هذه الجالية على هويتها الدينية وكانت دائما

(81) H. Orlando Patterson, "The General Causes of Jamaican Slave Revolts," in *Slavery in the New World*, Laura Foner and Eugene D. Genovese, eds. (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1969), 211-213.

تصبو للعودة إلى إفريقيا . كان العديد منهم من الصنّاع المهرة الذين قاموا بعد الحصول على الحرية بتأسيس أعمال خاصة بهم وفتح محلات تجارية ومن ثم جمعوا أموالاً لتحرير أصحابهم [إخوانهم] المسلمين من العبودية . كما أسس بعضهم مدارس لتعليم أولادهم القرآن .

في كوبا مارس الإسلام عدد كبير من الفولانيين والمانديين والولوف . وكما حدث في البرازيل ، فإن المسلمين في كوبا كان يعبدون الله بإضافة كلمة الأعلى بلغة اليوروبا وهي Olorum إلى كلمة الله لتكون كلمة أولورم ـ أولا Olorum-ulua . وقد تم حذف كلمة أولورم لاحقاً واستبدلت بكلمة أوباتا Obata لتصبح المعنى إله السماء Obbat Allah (٨٢) .

قدم أوائل المسلمين إلى جويانا من الساحل الغربي لإفريقيا . وحاول كلّ من الهولنديين (الذين حكموا المنطقة في القرن السابع عشر) والبريطانيين (الذين سيطروا عليها في عام ١٨١٥ م) جهدهم للتأكد من أن الفولانيين العبيد لن يمارسوا دينهم . ونجح البريطانيون على الأقل بشكل جزئي بقولهم لأهل جويانا بأن الهنود الشرقيين فقط هم الذين كانوا مسلمين ، وبجعلهم النصرانية الطريق الأساسي للحركة الاجتماعية (٨٣) .

استطاع المسلمون الأفارقة الاتصال ببعضهم البعض بطريقة سرية في أمريكا الأولى . وذلك لأن الكثير منهم كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة العربية . نشر في عام ١٨١١ م كتاب بعنوان القواعد العملية لإدارة العبيد الزنوج ومعالجتهم صحياً *Practical Rules For the Management and Medical Treatment of Nager Slaves* . وذكر مؤلفه أن بعض الأفارقة وخاصة القادمين من السنغال كانوا يستطيعون قراءة العربية وكتابتها (٨٤) . ويبدو أنه قبل القرن التاسع عشر كان هناك معرفة عامة بوجود مسلمين من العبيد . في عام ١٧٩٠ أثر المشروع في

---

(82) Winters, "A survey of Islam," 432-433; and Luxner, "Muslims in the Caribben," 5-6.

(83) Luxner, "Muslims in the Caribbean, " 7-8.

(84) Douglas Grant, *The Fortunate Slavery in the Early Eighteenth Century* (New York: Oxford University Press, (1968), 81.

ولاية جنـوب كارولينـا South Carolina بمنح وضع خاص لمجموعة خاصة من الناس هم المسلمون المطالبون باعتبارهم رعايا تابعين لسلطان المغرب (العاهل الذي اعترف بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٧٨٧ م) [٨٥]. وبعد أوائل القرن التاسع عشر ولد العديد من العبيد ولم ينعموا بالتعليم الإسلامي . حيث قللت عمليات التنصير من ذلك الميراث الإسلامي . وغالباً ما يجد الأمريكان السود الذين يتتبعون سلالة نسبهم أنه يوجد مسلمون من بين أجدادهم . كما أن التاريخ الشفهي (غير المكتوب) للعبيد السابقين يذكر أعرافاً إسلامية .

النصوص العربية الباقية والتي كتبها مسلمون قبل الحرب الأهلية وكذلك بعض المـراجـع المتناثرة لمؤلفين أوروبيين في الفترة نفسها تؤكد إلى حد كبير الوجود الإسلامي الكبير في جنوب الولايات المتحدة [٨٦] .

نمــاذج من العـبيد المسلمين في الأمريكــتين :

١ - بـو الله :

بو الله Bu Allah كان أحد الأمثلة وأشهر السائقين المسلمين ، وهو الرجل المسؤول عن مزارع توماس سبالدينج Thomas Spalding في جزيرة سابيلو . ولد بو الله في غرب السـودان ونشأ مسلماً واستمر في ممارسة دينه أثناء الأسر . كان ينحني على سجادة مصنوعة من جلد الخروف مصلياً باتجاه الشرق . تعلم هو وأسرته اللغة الانجليزية ولكنهم استمروا في الحديث بلغة إفريقية فيما بينهم .

بناءً على رواية أخرى فإن بوالله رغم أنه ولد في إفريقيا فإنه قد ورث دماً عربياً. كان يحتفظ بمـذكـرات باللغة العربية لم يكن باستطاعة أحد أن يفك طلاسمها ، مما أدى إلى إضفاء جو من الغموض حول تلك المزارع البطريركية

---

(85) Kaba, "Americans Discover Islam," 26-27.
(86) Yusuf, "Islam in America," 80.

وتعمق هذا الغموض مع مرور السنين ولم يزل يثير التخيلات حتى يومنا هذا . بوالله كان له اثنا عشر ولداً وسبع بنات . كان يظهر وكأنه متعجرف ولكنه كان رجلاً خارق الذكاء يحتفظ بسجلات المزارع باللغة العربية .

عندما نزلت قافلة بريطانية على سواحل جزيرة سابيلو Sapelo في عام ١٨١٣م ، قام سبالدينج بتسليح وتدريب العبيد الذين يملكهم لصد هجوم العدو . كان يفتخر بأن بوالله والعبيد المسلمين حديثاً سوف يسعون لإعطاء صورة مشرفة عن أنفسهم إذا هوجموا . ولابد أن سبالدينج قد شعر بالغم عندما رد عليه الرجل الذي يعتمد عليه معلنا : يمكنني أن أطيع أي شخص من الزنوج أصحاب العقيدة الصحيحة ليس الكلاب النصارى الذين لديك . وعلى الرغم من طبيعته غير الخيّرة فإن الأساطير التي أحاطت بـ بوالله كانت مستمرة وواسعة الانتشار بشكل كبير لدرجة أنها ألهمت جويل تشاندلر هاريس Joel Chandler Harris في التسعينات من القرن التاسع عشر لكتابة قصتين خياليتين بنيتا على المآثر الخاصة بهذا الزعيم المسلم وأسرته (٨٧) .

---

(87) William L. Van Deburg, *The Slave Divers: Black Agricultural Labor Supervisors in the Antebellum South* (Westport, CT: Greenwoood Press, 1979), 22-23; and E. Meton Coulter, *Thomas Spalding of Sapelo* (University, LA: Louisiana State University Press, 1940.

في أحد هذه الأعمال كتاب للأطفال بعنوان قصة هارون ولد بن علي The: Story of Aaron The Son of Ben Ali تم تحويل البطل هارون من كونه إفريقياً ليصبح عربياً بعد حصوله على وثائق عربية ورثها عن والده بن علي . كان بن علي عربياً يتاجر في الرقيق وتم استرقاقه هو شخصياً أثناء إحدى غزواته في منطقة سنيغامبيا . كان العبيد في المزرعة يخافون هارون ويحترمونه في آن واحد ، الذي كان يعتبر أكثر ذكاء وقدراً من الأفارقة . تدور القصة حول ثلاثة أطفال هم بسترجون Buster John وأخته سويتست سوزان Sweetest Susan وممرضة / صاحبة العبيد درو سيلا Drusilla ، أصدقاء هارون الذي كان غريباً ولكنه شجاع يستطيع أن يكلم الحيوانات سراً. الحيوان الرئيسي كان تيمولين Timoleon الحصان الأسود وهو حفيد الحصان الشهير عبدالله Abdallah . كل العبيد السود بشكل عام طفوليين وجبناء خاصة دروسيلا . والشخص الذي استطاع إنقاذ ممتلكات المزرعة هو ذلك العبد الشجاع الذي أصبح غير إفريقي ، ولأن المعلم الذي أنقذ حياته ـ وهو من دعاة التخلص من العبودية ـ منذ سنوات بعيدة هو سناتور أمريكي ، أمر هذا السناتور الجنرال جرانت Grant بحماية المزرعة وقام بمصافحة هارون شكراً له . (المؤلف) .

تسلم سبالدينج شحنة من البنادق من ولاية جورجيا لحماية أرضه . وأعطاها إلى بوالله لتوزيعها على العبيد وتدريبهم عليها استعداداً لأي غزو بريطاني . لم يحدث أي هجوم على سابيلو Sapelo ولكن الإنجليز هاجموا بالفعل مناطق سانت سيمون St. Simon وكمبرلاند Cumberland الغربية . في عام ١٨٢٤ م اجتاح إعصار منطقة سابيلو وقام بوالله بإنقاذ العبيد بشكل بطولي (٨٨). على الرغم من أن توماس سبالدينج كان مزارعاً على درجة عالية من الإبداع بحيث استطاع أن يؤمن ولاء العبيد له ، لكنه لم يكن بالضرورة على اطلاع جيد على قدرات العبيد من الناحية الذهنية . وكان يعتقد بأن لهم قدرات محدودة على التفكير . ومع هذا لاحظ جيداً نظافة المسلمين ونقاءهم . كان سبالدينج يطالب بنظافة مطلقة من أجل أن تتم عملية تكرير السكر بشكل فعّال . وفي إطراء خفّي أوضح إعجابه ببعض ممارسات المسلمين حيث ذكر مايلي : إن السكر أكثر عداءً للأوساخ من المسلم الذي يتوضأ في كل يوم خمس مرات (٨٩).

كتبت جورجيا كونـراد Georgia Conrad في عام ١٩٠١ م ـ وهي محررة صحيفة ذا ساوثرن وركمان The Southern Workman ـ عن لقائها مع بو الله Bu Allah وآخرين من المسلمين السود . ولحسن الحظ فقد ذكرت بعض التفاصيل فيما يتعلق بلغتهم ولباسهم .

> *على ساحل جورجيا Georgia قرب دارين Darien ، كنت أعرف أسرة*
> *من الزنوج الذين كانوا يبجّلون محمداً كانوا يمتازون بطول القامة وحسن البناء*

---

(88) Coulter, *Thomas Spalding,* 83.

على الرغم من أن الود المتبادل بين توماس سبالدينج والعبيد الذين عنده كان يبدو غريباً ، فإن كولتر Coulter نقل أن سبالدينج كان يرفض أن يعين رجلاً أبيض للإشراف على العبيد الذين بلغ عددهم ٢٥٠ ، وهي مهمة كان يقوم بها بنفسه أو يختار شخصاً مثل بوالله Bu Allah . كان العبيد يعملون لمدة ٦ ساعات فقط في اليوم فيما عدا فترة جني القطن . وكما نقل كولتر فإن سبالدينج كان يتبع نظام توزيع المهام على العبيد وعندما ينهي الشخص العمل الموكل إليه فإنه يأخذ وقتاً حراً إلى أن يحين وقت المهمة التالية له . *Thomas Spalding,85*

(٨٩) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

الجسدي . تحدثوا معنا بالإنجليزية ولكنهم كانوا يستعملون لغة أجنبية عندما يتحدثون مع بعضهم البعض ، كان على رأس القبيلة رجل كبير السن يسمى بلالا Bi- la- la . كان يلبس باستمرار طاقية تشبة الطربوش(٩٠) .

توجد في مكتبة ولاية جورجيا مخطوطة كتبها بوالله (Aka Ben-Ali, Bilali, and belali Mahomet) وتحتوي هذه المخطوطة على مقاطع من الرسالة Risalan ، وهي عبارة عن نصوص شهيرة للمذهب المالكي من الشريعة المحمدية تتحدث عن طقوس الوضوء والنداء للصلاة . قدمت السيدة ماكسفيلد باريش Mrs Maxfield Parish ـ وهي من جزيرة سانت سيمـــون في ولاية جورجيا ـ نسخـة من هذه المخـطوطـة إلى البروفيسور هـ . جرينبرج Professor H. Greenburg من جامعة نورث ويســترن North westem من أجــل ترجمتهــا في عام ١٩٣٧ م . وكـان ب . ل . جولدينج B.L. Gougding الذي تسلم النسخة الأصلية من المخطوطة من والده ، والذي كان قد حصل عليها من بن علي Ben Ali شخصياً قد أودع هذه المخطوطة في المكتبة في عام ١٩٣٠ م . وكان جولدينج Goulding الأب هو الذي بعث نسخة بواسطة الفاكس إلى جويل تشاندلر هاريس Joel Chandler Harris . كان يعتقد خطأ بأن هذه الوثيقة عبارة عن سيرة ذاتية لحياة بن علي Ben Ali في الولايات المتحدة . وأخيراً تم الكشف عن المحتويات الحقيقية لهذه الوثيقة التي تحتوي على ١٣ صفحة وذلك بعد رحلة ميدانية إلى غرب إفريقيا في عامي ١٩٣٩ م ـ ١٩٤٠ م .

عنـدمـا تم الحصـول على نسخة خطية من الرسالة Risalan وقورنت بالمخطوطة التي كان يعتقد بأنها مذكرات ، ظهر مباشرة أن الجزء الأكبر منها هو عبارة عن مقتطفات من الرسالة وتحتوي على صفحة الغلاف ومقاطع من المقـدمـة وأجزاء من الفصول التي تتحدث عن الوضوء والنداء للصلاة . .

---

(90) Kly, "The Africans-American Muslim Minirity," 154.

وبقي جزء يسير من الوثيقة دون تحديد ، ولكن يعتقد بأنه مأخوذ من الرسالة أو من عمل آخر مشابه[٩١] .

السيدة باريش Mrs. Parrish أيضاً قابلت حفيدة ابنة بوالله . واسمها كيتي Katie وسجلت حقائق مهمة حول حياته . كان له ثمانية أولاد : مارجريت Margaret وهي جدة كيتي ، وهيستر Hester ، وكوتي Cotty ، وفاطمة Fatima ، وشاد Shad ، ونيرابه Nyrrabuh ، وميدينا Medina ، وبينتي Binty . كان جميع الأولاد يتكلمون لغة والدهم الإفريقية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية باستثناء الأصغر الذي لم يكن يتكلم الفرنسية . مارجريت وكيتى كانتا مسلمتين وكانت كيتي تحفظ صلواتها ودعواتها الإسلامية وأجزاء من السور القرآنية التي كان بلالي وزوجته يرددونها عندما يصلون ، وتذكر كيتي أيضاً بأنها وفي بعض أيام العيد قد حصلت على كرات خاصة من الأرز بحجم بيضة الدجاج لتأكلها . وكانت مارجريت تعطي هذه الكرات من الأرز التي كانت تسميها ساريكا Sarika إلى الأولاد ، وكانت تقول لكل واحد منهم وهي تعطيه إياها ساريكا- دي Sarika-dee أو أهمي Ahme . لم تكن كيتي تعرف معنى هذه الكلمات ولكنها فهمت بأنها كلمات مهمة . وعندما توفي بوالله تم دفن مصحفه وسجادة صلاته معه[٩٢] .

البعض الآخر من العبيد كان يكتب مقاطع طويلة من الإنجيل وفي بعض الأحيان من الذاكرة بلغة عربية صحيحة . وبعد حوالى ٥٠ سنة قام أحد العبيد واسمه لندن London بكتابة نسخة من الأناجيل الأربعة والعديد من الترانيم[٩٣] .

(91) Joseph H. Greenberg, "The Decipherment of the 'Ben-Ali diary.' A Prelimenary Statement," *The Journal of Negro History* 25 (July 1940): 372-374. Joel Chandler Harris, Atlanta newspaper editor, collected African American slave stories which he published as *The Tales of Uncle Remus.*

(92) Kly, "The African-American Muslim Minority," 155.

(93) Stanley Kaplan and Emma Nogrady Kaplan, *The Black Presence in the Era of the American Revolution,* rev. ed. (Amberst: The University of Massachusetts Press, 1989), 251-252.

في المنـــاطق التي كان يوجـد بها عدد من المسلمـين العبيد مثـل جورجيا وجـامـايكا ، كانوا يراسلون بعضهم البعض باللغة العربية ، ومازالت بعض الـترجمـات الإنجليزية لهذه المـراسلات محفوظة . ومن العجيب أن تجد بعض المراسلات عبر المحيط الأطلسي بين المسلمين المستعبدين وعائلاتهم في إفريقيا ولكنها لم تكن كثيرة على أي حال . في عام ١٧٨٦ م في جامايكا وزعت رسالة من غينيا بين المسلمين العبيد بعنوان طريق المؤمنين نحو اليقين[٩٤] . مثال آخر ربما كان نسخة مماثلة لما سبق ، كان عبارة عن رسالة وصلت إلى حوزة عبد مسلم يسمى محمد كابا Mohammad Kaba . كان محمد كابا يعرف أيضاً أثناء العبودية بالاسمين التاليين : روبرت بيرل Robert Pearl وروبرت توفت Robert Tuffit .

قبـل حوالي ٣ سنـوات (١٨٣١ م)، وصـل إليه من كينجستون Kingston على يد أحد الأولاد ورقة كتبت في إفريقيا قبل ٤٥ سنة من ذلك الوقت . . . كانت هذه الورقة تحث جميع أتباع محمد ليكونوا صادقين ومخلصين إذا كانوا يرغبـــون في الـــذهـاب إلى الجنــة . . الـخ . وقـامت زوجـة محمـد كابـا Munammad Kaba بإتلاف هذه الوثيقة Wathiqa أثناء ثورة العبيد في يناير ١٨٣٢ م وذلك لأنها كانت تعتبر خطيرة[٩٥] .

كان هنـاك اتصال محدود بين العبيد المسلمين ، باستثناء أولئك العبيد في البرازيل حيث كان يوجد بها عدد كبير منهم . وبانفصالهم عن أصحابهم المؤمنين استمروا في الكفاح مع أجل ممارسة دينهم . وكما يبدو فإن التحول إلى النصرانية

---

(94) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery,* 371.

(95) Ivor Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," in *Africa Remembered: Narratives by West Africans from the Era of the Slave Trade,* ed. Philip D. Durtin (Madison, WI: Un iversity of Wisconsin Press, 1957), 164.

ولد كابا في إفريقيا وعاش في إحدى مزارع مانشستر باريش Manchaster Parish في جامايكا . كان قائداً لمجموعة من المسلمين وتسلم رسالة من الملك الإفريقي الإمام أبي بكر . الملك الفولاني في فوتا جالون أعلن الجهاد في ١٨٠٤ م الأمر الذي كان له تأثير واضح في ثورة العبيد الجامايكيين عام ١٨٣٢ . وفقا لـ : Nunez, *Dictionary of Afro–Latin American Civilization 327.*

لم يكن طوعياً أو عن قناعة قلبية . وعلى العكس من ذلك ، فإن الإسلام كان ومايزال في كثير من المناطق مصدراً قوياً للشعور بالعداء نحو الغرب[٩٦] .

كان المسلمون العبيد يرغبون في اقتناء نسخ من القرآن كوسيلة لحفظ دينهم ، وذلك لأن العديد منهم كانوا يقرأون ويكتبون بالعربية . حتى إن البعض منهم كانوا يتمنون الحصول على نسخة من القرآن بعد مضي ٤٠ سنة على استعبادهم . ولكن البيض أرادوا تحويلهم إلى النصرانية وكان البعض منهم يستعين بالخديعة لتحقيق ذلك .

كان البيض يقرأون لهم ترجمات إنجليزية للقرآن إلى أن يتقنوا اللغة الانجليزية ومن ثم يستبدلون الإنجيل بالقرآن . بينما كان العبيد يذكرون عقائد الإسلام فإنهم كانوا يطبقون مفاهيم ومعتقدات النصرانية لأن العديد منها كان مطابقاً لدرجة كبيرة لتعاليم محمد .

وعلى الرغم من أن العبيد كانوا يستخدمون كلمة « Gad » بدلاً من كلمة «الله» والمسيح عيسى بدلا من محمد فإن الكثير منهم كانوا يستخدمون الألفاظ النصرانية لإخفاء معتقداتهم الإسلامية الأصيلة . كانوا يعتقدون أن الدين واحد ولكن الأسماء تختلف باختلاف الأقطار .

أحد الأسباب التي جعلتهم يتقبلون النصرانية كان وجود تشابهات كافية بين الديانتين . ربما كانوا يبدون كنصارى ظاهرياً ولكن بعضهم حافظ على الإسلام في قلبه[٩٧] .

هناك تقارب كبير ومدهش بين المبادىء الأساسية للإسلام والنصرانية والديانات الإفريقية . وليس الإسلام ولا النصرانية بغريبين في جوهرهما عن

(96) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery*, 371.

(97) John W. Blassingame, *The Slave Community: Plantition Life in the Antebellum South* (New York: Oxford University Press, 1979), 73; and Gayraud S. Wilson, *Black Religion and Black Radicalism*, C. Eric Lincoln Series on Black Religion (Garden City, NY: Doubleday and Company, 1972), 10-11.

المفاهيم الدينية الإفريقية . وإذا ماجردتا من بعض التعبيرات الخاصة بكل منهما فإن المفاهيم الدينية الإفريقية تصبح ليست غريبة عن النصراني أو المسلم(٩٨) .

٢ - يـــارو محمـــود :

يارو محمود Yarrow Mamout كان من أكثر المسلمين شهرة وعجباً ، وقد ذكر من خلال بعض الـطرائف التي رواهـا الفنـان الشهـير تشـارلـز ولسـون بيل Charles Willson Peale ، اشترى محمود حريته ، وعاش خلال فترة الحرب الثورية وامتلك عقاراً وبقي مسلماً مخلصاً ، عاش حتى بلغ أكثر من مائة سنة من العمر ، وسافر بيل Peale إلى جورج تاون Georgetown في عام ١٨١٩ م ليرسم صورته . كتب بيل قصة محمود في مذكراته في ذلك اليوم ، وربما تكون تلك المذكرات هي المكان الوحيد الذي ذكرت فيه قصته .

> *لقد قضيت معه طوال اليوم ولم أرسم صورة جيدة تمثل شخصه فقط ، وإنما رسمت أيضاً الخلفية التي كانت تحيط به ـ ومن أجل أن أتقن الصورة بشكـل أكـبر طلبت منـه الجلوس أمامي لإتمام الرسم في اليوم التالي ـ وفي الصباح الباكر ذهبت لمقابلة بعض أفراد إحدى الأسر الذين كانوا على معرفة جيدة به لسنـوات طويلة والذين كان أجدادهـم قد اشتروه من السفينة التي أحضرته من إفريقيا . وقد أرشدني السيد بيل Bell الذي يعمل في أحد البنوك إلى أرملة كبيرة في السن هي التي منحته حريته . وعندما استفسرت من هذه السيدة عن عمـره أخبرتني بأنه سيصبح ١٣٤ سنة في شهر مارس القادم ، وعرفت أنه كان يعد ١٢ قمراً في السنة الواحدة (يعتمد التقويم القمري) وأنه كان يبلغ من العمـر ٣٥ عامـاً عنـدما أحضر لأول مرة إلى أمريكا بواسطة الكابتن داو Cptn Dow ـ ولكن تلك الأرملة أخبرتني بأنه كان من المتبع في تلك الأيام أن يتم تقدير أعمار العبيد عندما يؤتى بهم إلى البلاد بواسطة لجنة خاصة بذلك ، وأنها تعتقد بأنه كان قد بيع على اعتبار أن عمره حوالي ١٤ سنة ، ولكنه ربما كان أكبر من ذلك قليلاً . . .*

(98) Paul Bohannan and Philip Curtin, *Africa and Africans,* 3rd. ed (Prospect Heights, IL: Waveland Press, (1988), 206.

كان يارو يمتلك بيتا كما أنه كان معروفاً لدى معظم السكان في جورج تاون وبشكل خاص لدى الأولاد الذين كانوا عادة ما يضايقونه ، ولكنه كان يأخذ الأمر بحسن النية وعن طيب خاطر . ويبدو لي أن حسن خلق هذا الرجل قد ساعد في طول عمره . وقد عُرف يارو برزانته ومرحه ، وكان يعلن بأنه من أتباع محمد ، وعادة ما كان يُرى ويُسمع وهو يسير في الشوارع منشداً تسبيحاً لله وتحميداً له ـ وعندما تحدثت معه عن ذلك قال : إن الإنسان لا فائدة منه إذا لم يكن إيمانه نابعاً من القلب ...

كان أصحابه ومعارفة غالباً ما يمازحونه حول أكل لحم الخنزير وشرب الويسكي ـ ولكنه كان يقول إن أكل لحم الخنزير ليس جيداً ، كما أن شرب الويسكي يعتبر في غاية السوء[٩٩]

٣ - جوب بن سليمان (أيوب بن سليمان) :

إن من أوائل القصص الكاملة التي وردت عن حياة رقيق مسلم في الولايات المتحدة هي « بعض المذكرات عن قصة حياة جوب بن سليمان Job Ben Solomon رجل الدين الأعلى في بوندا Boonda في إفريقيا » الرجل ذكر في الفقرة السابقة . كتب توماس بلوت Thomas Bluett من ماريلاند Maryland مذكرات نشرت في مدينة لندن بإنجلترا سنة ١٨١٦ م . وقد احتوى كتاب فرانسيس مور Francis Moor وهو بعنوان رحلات إلى أدغال إفريقيا *Travels into the Inland Parts of Africa* والذي نشر في لندن عام ١٧٣٨ م مقتطفات عن حياة جوب بن سليمان . كان اسم جوب بن سليمان الحقيقي هو أيوب سليمان Ayuba Suleiman ولكن بسبب كثرة المواد المنشورة عنه تحت الاسم الإنجليزي Anglicized له تم استعمال ذلك الاسم في هذا البحث . كان جوب رقيقاً في ولاية ماري لاند Maryland ما بين عامي ١٧٣١ م و١٧٣٣ م . وكان يوصف بأنه من الفولانيين من مملكة الفوتا ، كان يكتب العربية وعلى معرفة جيدة بالقرآن ـ في الحقيقة كان يستطيع تلاوته بكامله[١٠٠] . كان ينحدر من عائلة دينية مهمة وكان يدرس مع الشخص الذي

(٩٩) المصدر السابق ، ص ٢٥٢-٢٥٥ .

(100) "Authobiography of Omar ibn Said, Slave in North Carolina, 1831," *The American Historical Review* 30 (July 1925): 787.

أصبح ملكاً على الفولانيين فيما بعد . كان اسمه يكتب أيضاً كما يلي : Hyuba, Boon Salumarna, Boon Hibrahema ، أي أيوب بن سليمان بن إبراهيم ، وكان اسم عائلته جالو Jallo أو [Dialo] . وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره كان يساعد والده الذي عمل إماماً في بوندو Bundo وهي المدينة التي أسسها جده(١٠١) . وتعتبر قصة جوب من القصص المهمة لأنه عاد في النهاية إلى موطنه الإفريقي . وورد ذكره في رواية فرانسيس مور Francis Moore في فبراير ١٧٣١ م الذي كتب ما يلي :

> *. . . مباشرة بعد نزول الكابتن بايك Pyke (وهو تاجر مستقل) من السفينة Arabella تم تحميلها بالرقيق من جور Joar ، ومكثت يوماً أو يومين في منطقة جيمس فورت James Fort ثم أبحرت إلى ماري لاند Maryland ، وكان من بين العبيد الذين حصل عليهم رجل يسمى جوب بن سليمان وهو من سلالة الفولاني وابن لرجل دين ذي مكانة عالية في البوندو Bundo في منطقة فوتا ، وهو مكان يبعد مسيرة عشرة أيام من جيلي فري Gilly Free ، وكان جوب مسافراً على الجانب الجنوبي من النهر مع خادم له وحوالي ٢٠ أو ٣٠ رأساً من الماشية تعود لأحد الملوك في منطقة لا تبعد كثيراً تقع بين تانكروول Tancrowall ويامينا Yamina ، وقد تم الاستيلاء على الماشية والخادم بالإضافة إلى الرجل نفسه ، ومن ثم بيعهم إلى الكابتن بايك حيث كان يتاجر في منطقة جور . كان من الممكن أن يقوم الفولانيون بفديته وإنقاذه ولكن تم نقله بعيداً عن النهر قبل أن ينتبهوا إلى أنه صار مع العبيد(١٠٢) .*

كان والد جوب قد أرسله مع اثنين من الخدم إلى بايك من أجل أن يبيعوا له ولدين كرقيق . كان جوب خبيراً في تجارة العبيد وعندما لم يتفق مع بايك على السعر قرر أن يبيع الولدين في مكان آخر . ومع أن والده قد حذره بعدم العبور

(101) Elizabeth Doonan, *Documents Illustrative of the History of the Slave Trade to America*, vol. 2, *The Eighteenth Century* (Washington, DC: Carnegie Institution of Washington, 1931), 420; and Piersen, *Black Legacy*, 88.

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

إلى غامبيا لأن الماندين والفولانيين كانوا في حالة حرب ، فقد أغفل جوب تحذير والده وعبر النهر مع مترجم من الفولا اسمه لومين ياو Loumein Yaoi . وبعد بيعه للولدين وحصوله على ٢٨ رأساً من الماشية ، توقف في قرية من قرى الفولا حيث نزع سلاحه ليأخذ قسطاً من الراحة . هاجم سبعة أو ثمانية من الماندين الكوخ الـذي نزلوا فيه من الباب الخلفي ، وأسروا الرجلين وحلقوا رأسيهما ولحيتيهما كعـلامـة على أنهما سلعة للبيع . ومن ثم باعوهما ووضعوهما على ظهر السفينة أرابيلا سفينة الكابتن بايك . وعندما تمكن جوب من إخباره بأنه قد تم أسرهما وبيعهما بطريقة غير شرعية وافق بايك على إطلاق سراحهما مقابل اثنين من العبيد عن كل واحد منهما . كان ذلك في يوم الأحد وكان من المقرر أن تبحر السفينة في يوم الجمعة الذي يليه . وهكذا أبحرت السفينة قبل أن يتمكن أي رسول من الوصول إلى والد جوب وترتيب عملية الفدية(١٠٣) .

وكما يروي فرانسيس مور ، فإن بايك كابتن السفينة أرابيلا حمل جوب إلى ماري لانـد وهنـاك باع حمولـة السفينة إلى فاتشيل دينتون Vachell Denton وهو سمسار يعمل لصالح التاجر اللندني وليام هانت William Hunt . وقد باع دينتون ـ وهو من سكان أنابوليس Annapolis ـ جوب إلى اليكسندر تولسي Alexander Tolsey بمبلغ ٤٥ جنيهاً إسترلينياً . قام تولسي بتسمية جوب باسم سيمون Simon وأرسله للعمل في مزرعة للتبغ في جزيرة كنت kent وهي مقاطعة تابعة للملكة آن Queen Anne تقع على خليج شيزابيك Chesapeake Bay . كان العمل الذي أوكل إلى جوب شاقـاً جداً بالنسبة له ومن ثم تم نقله من العمل في التبغ إلى رعي الماشية . كان يصعب عليه التأقلم مع حياة العبودية القاسية والمهينة وذلك بسبب المكانة العالية التي كان يتمتع بها سابقاً . وسُمح له بممارسة دينه ولكن في كل مرة كان يذهب فيها ليصلي يتبعه ولد أبيض لمراقبته . كان هذا الولد يستغرب جداً من ممارسات جوب الدينية وكان يُعنّفه ويلقي الأوساخ على وجهه(١٠٤) . مكث

---

(103) Grant, *The Fortunate Slave,* 63, 67-69.

(١٠٤) المصدر السابق ، ص ٧٨ – ٨٢.

جوب مع تولسي حوالي اثني عشر شهراً دون أن يُضرب أبداً من قبل سيده ، ومع نهاية هذه المدة حالفه الحظ السعيد حيث استطاع أن يكتب رسالة باللغة العربية بخط يده ثم إيصالها إلى إنجلترا(١٠٥) . كانت ماري لاند ماتزال مستعمرة بريطانية وبعد مرورها بطرق ملتفة وصلت رسالة جوب إلى يد جيمس أوغليثورب دي فاكتـــو James Oglethorpe, de facto حاكم وأحـــد أمنـاء ولاية جورجيا . كان أوغليثـورب يعـارض ولأسباب اقتصادية العبودية في جورجيا ، مع أنه يمتلك عبيداً في مزرعتـه الـواقعـة في جنوب كارولاينا South Carolina وكان نائباً لمدير الشركـــة الإفـــريقـية المـلكـية ، والـتي كانـت تحتكـــر تجارة العبيد حتى عام ١٦٩٦م(١٠٦) . حاول جوب الهروب من جزيرة كنت واستـطاع الـوصول إلى مقاطعة كنت الواقعة على خليج الشيزابيك قبل أن يتم الإمساك به هناك . وقد ألقي القبض عليه وأودع في السجن المحـلي والـذي كان بمثـابة خان (فندق صغير) أيضاً . لم يستطع الحراس أن يفهموا منه غير كلمتي الله ، ومحمد ولهذا فقد استنتجوا بأنه مسلم . وقابل جوب في تلك الفترة توماس بلوت الذي كان مدعياً عاماً وحافظ على علاقة صداقة معه .

بعد أن تحقق أحد العبيد القريبين من السجن والذي كان يتكلم لغة الولوف من قصـة جوب ، تم الاتصال بتولسي . وبدل أن يغضب تولسي من هروب جوب فإنه سمح له بالصلاة منفرداً وأوكل إليه أعمالاً أسهل من ذي قبل ، وربما كان سبب ذلك لأن تولسي كان موقناً بأن جوب كان أميراً في بلده الأصلي . وهنا قرر جوب الاتصـال بوالـده فكتب رسالة بالعربية وأرسلها إلى باتشيل دينتون ليرسلها بدوره إلى الكابتن بايك والذي كان بإمكانه إيصالها إلى إفريقيا . وبما أن بايك كان قد أبحر إلى لندن فقد أرسل دينتون الرسالة إلى الكابتن هانت Hunt في لندن وطلب منه تسليمها إلى بايك هناك . ومع وصول الرسالة إلى هانت كان بايك قد أبحر إلى غامبيا . لم يدر هانت ما يفعله بالرسالة وخاصة أنه لم يكن

(105) Doonan, *History of the Slave Trade,* 414-415; and Piersen, *Black Legacy,* 78.
(106) Higginbotham, *In the Matter of Color,* 63, 216.

يعرف محتواها ، لذا فقد أخذها إلى أصدقاء له في الشركة الإفريقية الملكية لترجمتها[١٠٧] .

أرسل أوغليثورب Oglethorpe الرسالة إلى أكسفورد حيث قام بترجمتها جون جاجنير John Gagnier الذي كان يشغل منصب الأستاذ الأعلى في اللغة العربية . وكـان أوغليثورب شديد الإعجاب بجوب لدرجة أن أشار بضرورة شرائه من سيده وإحضاره إلى انجلترا . وقام بترتيب دفع نفس الثمن الذي اشتري به جوب والبالغ ٤٥ جنيهاً إسترلينياً عند استلامه في إنجلترا . ولكن فصل الشتاء القاسي في تلك الفترة سبب تأخيراً في إقلاع جوب بحراً إلى إنجلترا ، وفي انتظار إقلاعه عمل جوب مع الوزير جون هامفريز John Humphrys حيث كان يعلمه العربية واستـطاع أخيراً الإقلاع في مارس ١٧٣٣ م على ظهر السفينة وليام William ، بصحبة صديقه توماس بلوت . وبدلاً من أن يسافر في العنبر الكريه في السفينة ، اعتبر هذه المرة ضيفاً على القبطان .

أثناء وجوده في لندن قام جوب بعمل بعض الترجمات للسير هانز سلون Sir Hans Sloane والذي شكلت مجموعته نواة المتحف البريطاني فيما بعد . كان سلون هو الـطبيب الخـاص بالملكـة كارولاين Queen Caroline وأكبر جامع للأشياء النادرة في عصره . وقد جاء جزء من ثروته من تجارة الرقيق . وفي أثناء فترة وجوده في جامايكا ممارساً للطب تزوج من أرملة غنية لأحد المزارعين . وإلى جانب ما كان يجمعه من مواد لكتابه عن التاريخ الطبيعي للجزيرة ـ والذي طبع في عام ١٧٠٧ م ـ كان يقوم بتوثيق العقوبات الشنيعة التي كان يتعرض لها العبيد . وقد استفاد المنادون بإلغاء العبودية من هذه التقارير لتأييد ما يدعو إليه من أفكار .

كانت مجمـوعـة سلون المكـدسـة في إنجلترا تحتـوي على عمـلات نقدية وميداليات و ٤٢٠٠٠ ألفاً من المخطوطات والمجلدات التي كان يأمل بأن يترجمها جوب له . كان سلون معجباً بقدرة جوب على الترجمة من اللغة العربية القديمة

(107) Grant, *The Fortunate Slave, 82-84.*

والحديثة، وبسبب قدراته هذه أصبح جوب حديث المجتمع الإنجليزي ككل(١٠٨).

أوصى سلون به إلى فخامة دوق مونتيجو Duke of Montague *، الذي سُرّ بحسن خلقه وهدوء طبعه كما سر بنبوغه وقدرته ، ومن ثم قدّمه للبلاط الملكي حيث استقبل بحفاوة من قبل العائلة المالكة ، والكثير من النبلاء والذين منحوه درجات مميزة من الثناء .*

إحدى الروايات العجيبة التي وردت عن جوب تحدثت عن ذاكرته غير العادية . ففي كل من أمريكا وإنجلترا شهد من كان يعرفه من الناس أنه كان بإمكانه تلاوة القرآن كله من الذاكرة . مع أن هذا الأمر يبدو مستبعداً(١٠٩) إلا أن كتاب جنيز للأرقام القياسية Guinness Book of Records يحتوي على رواية مماثلة . وفي أثناء وجوده في إنجلترا فإنه يُظن أنه قام بكتابة عدة نسخ من القرآن باللغة العربية من ذاكرته6yzz7 . توماس بلوت ـ الذي سافر معه إلى إنجلترا وكتب عنه تقريراً مفصلاً ـ قال مايلي :

كان يتمتع بذاكرة غير عادية ، فمنذ أن كان في الخامسة عشرة من العمر كان يستطيع تلاوة القرآن كله من الذاكرة ، وأثناء وجوده هنا في إنجلترا كتب ثلاث نسخ من القرآن من غير أن ينظر إلى إحدى هذه النسخ وهو يكتب الأخرى . كان غالباً ما يضحك مني عندما يسمعني أقول إنني نسيت شيئاً ما . ويقول لي إنه نادراً ما ينسى أي شيء في حياته ، وكان يستغرب كيف ينسى الآخرون(١١١) .

---

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٨٤ – ٨٧، و٩٩–١٠٠ .

(١٠٩) لا أدري لماذا يبدو هذا الأمر مستبعداً مع أنه يوجد في أيامنا هذا عشرات الآلاف من المسلمين من يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، لا يكاد يضيع منه حرفاً!! (المترجم) .

(110) Wilson Armistead, *A Tribute for the Negro* (Manchester, England: William Irwin, 18848), 420.

(111) Donnan,*History of the Slave Trade,* 414-416; and H. G. Adams, ed., *God's Immage in Ebony* (London: Partridge and Oakey, 1854), 427.

بعد مضي ١٤ شهراً ، أراد جوب أن يعود إلى وطنه في بوندو . وترك إنجلترا محملاً بالهدايا من العائلة المالكة والتي اشتملت على ساعة ذهبية من الملكة كارولاين زوجة وليام الثالث William III وغيرها من دوق نورثمبرلاند Northumber-land ودوق منتيجو . وصحب فرانسيس مور في رحلته إلى إفريقيا . وبينما كانا يجلسان معاً تحت شجرة قريبة من منزله ، تعرف جوب على الرجال الست أو السبع الذين باعوه كرقيق (ولم يتعرف هؤلاء الرجال عليه) ، وبالرغم من أنه كان يود أن يقتلهم ، لكنه تراجع واكتشف أن سيدهم الذي كان ملكاً قد مات . وقد كان أحد الأشياء التي أخذها هذا الملك ثمناً لجوب مسدساً ، كان هذا المسدس دائماً معبأ بالرصاص يربطه الملك في حبل حول رقبته . وفي أحد الأيام انطلقت منه رصاصة خطأ فأصابت الملك في حلقه وقتلته[١١٢] .

لدى سماعه لهذه القصة تأثر جوب بها كثيراً لدرجة أنه سجد على ركبتيه شاكراً لمحمد لأنه جعل هذا الرجل يموت بنفس البضاعة التي أخذها ثمناً له عندما بيع رقيقاً . . .[١١٣] .

كتب جوب بن سليمان بتاريخ ١٧٣٦/١/٢ م رسالة إلى السيد سميث Mr. Smith وهو أستاذ الكتابة في مدرسة سانت باول St. Paul's School في إنجلترا ، ذكر فيها أنه قد وصل سالماً إلى أرضه . وأبلغ سميث بما حدث أثناء فترة غيابه عن بيته مثل موت والده وزواج إحدى زوجاته . وشكر أصحابه الذين ساعدوه في إنجلترا . وقرر مساعدة الإنجليز في تجارة الصمغ العربي في غامبيا ، وقد كان يتعين عليهم سابقاً شراؤه من المستعمرات الفرنسية[١١٤] .

وكان الفرنسيون والهولنديون يتصارعون بسبب الصمغ العربي الذي كان يعتبر أكثر ربحاً من تجارة الرقيق[١١٥] وصلت إحدى الرسائل من جوب إلى السير

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(١١٣) المصدر السابق ، ص ٤١٥ . غني عن البيان أن السجود في الإسلام لا يكون إلا الله تعالى . وأن صورة السجود ـ على الركبتين ـ التي ذكرها الباحث غير معروفة كذلك (المترجم) .

(١١٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٥- ٤٥٦ .

(115) Hall, *Africans in Colonial Louisiana*, 33.

هانـز سلون الـذي أرسلها بدوره إلى الجمعية الملكية في ٤ نوفمبر ١٧٣٦ م ، نشرت هذه الرسالة في مجلة جنتلمنز Gentlemen's ومجلة لندن Landon Magazine.

شكر في هذه الرسالة الإنجليز على فضلهم وقال إنه أرسل تلك الرسالة من البلد الذي ينبت فيه الصمغ العربي . ووعد أيضاً الإنجليز في رسالته بأن يقوم بمساعدتهم في الحصول على الذهب إذا ما زودّوه بالقوارب مستوية القاع .

استمـر جوب بمراسلة أصدقائه الإنجليز والأمريكان ـ وهم دوق منتيجو (توفي في ١٧٤٩ م) والسـير هانز سلون (توفي في ١٧٥٣ م) وفرانسيس مور (توفي في ؟) وتوماس بلوت (توفي في ١٧٥٠ م) . وكان موته (جوب) قد سجل في سجلات جمعية سبالدينج للنبلاء المتميزين Gentlemen'd Society of Spalding (التي اختـارته كعضو شرف في ٢٣ مايو ١٧٣٤ م) حيث سجل موته في عام ١٧٧٣ م ، ولكن دون إشارة حول سبب اهتمام هذه الجمعية بحدث وفاته الذي وقع في منطقة بعيدة جداً عن إنجلترا[١١٦] .

عانقـه أحد أعمامه الذي يسكن هناك [في بوندو] قائلاً : أنت العبد الأول الذي رأيته قد عاد من الجزر الأمريكية من ٦٠ سنة . وكتب العديد من الرسائل إلى أصدقائه في أوروبا وأمريكا التى كانت تترجم وتتابع بشغف . وبعد وفاة والده أخذ مكانه وكان محبوباً جداً من قبل رعاياه[١١٧] .

استطاع جوب تحرير مسلم آخر من الرق هو صديقه القديم وخادمه الأمين ياو Loumein Yaoi (Lahamin Joy) . حيث لجأ إلى دوق مونتيجو الذي قام بترتيب دفع مبلغ من المال من أجل تحرير الأمين ياو وإعادته إلى إفريقيا عبر إنجلترا . وكان توماس بلوت صديق جوب قد عرف مكان ياو في ولاية ماري لاند وقد وصل ياو إلى إنجلترا في ١٧٣٧ م حيث قامت الشركة الإفريقية الملكية Royal African

(116) Grant, *The Fortunate Slave,* 144-145, 186, and 198-199.

(117) A. Mott, *Biographical Sketches and Interesting Anecdotes of Persons of Color,* 2nd ed. (New York: Mahlon Day, 1837), 132.

Company بترتيب إعادته إلى وطنه . وكان قد وصلت رسالة إلى دوق منتيجو تقول إن الأمين ياو الذي كان قد أسر وأخذ إلى ماري لاند مع جوب ، يجب أن يُعامل بلطف وأن تؤمن طريق عودته إلى غامبيا[١١٨] .

إذا كانت عودة جوب بن سليمان إلى إفريقيا تمثل معجزة كبيرة قد لا تصدق - وهي كذلك إلى حد ما - فإن على المرء أن يتساءل ما الذي دفع أحد الرجال الرئيسين في تجارة العبيد الدولية لمساعدة أحد الأفارقة العبيد الذي كان يتقن قراءة وكتابة العربية . وربما لا يكمن السبب فقط في قدرات جوب الذهنية ، ولكن في اعتبارات اقتصادية أيضاً . شهدت الأيام الأولى لتجارة العبيد عبر المحيط الأطلسي عودة عدد منهم إلى إفريقيا ، وذلك لان القوانين المحلية الإفريقية كانت تمنع استرقاق المسلمين ، وبشكل خاص أولئك الذين ينتمون إلى عائلات ذات نفوذ . وربما كان سبب عودة جوب هو قناعة أوغليثورب بأن استرقاق جوب كان سيؤثر سلبياً على الشركة الإفريقية الملكية (أو لأن عودة جوب كانت ستؤثر إيجابيا على علاقات الشركة هناك)[١١٩] . حدثت مع بداية القرن الثامن عشر سلسلة من عمليات الجهاد والتي أدت إلى استرقاق عدد أكبر من المسلمين الذين لم يستطع أحد منهم - على الأغلب - العودة إلى وطنه .

يبدو أن غالبية المسلمين الرقيق قد وصلوا إلى الأمريكتين أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حينما بدأ المجددون المسلمون المجاهدون بسلسلة من الثورات الدينية والحروب من أجل إنشاء دولة لهم والتى هزّت السودان . كانت أول عملية جهاديه قد حدثت في فوتا جالون في العشرينات من القرن الثامن عشر . تبعتها عمليات أخرى في فوتا تورو وبوندو (١٧٧٦ م) وأرض

---

(118) rant, *The Fortunate Slave,* 195-196.

(١١٩) هنـاك أعداد أخرى من الأفارقة حرروا من العبودية . القادة السود من أمثال مارت ديلاني Martin Delany وبيثوب هينري مكنيل ترنر Bishop Henry McNeal Tumer رووا قصص أجدادهم . كان شانجو Shango جد ديلاني لأمه قد حرر وأعيد إلى إفريقيا وكذلك فإن جدته قد أعتقت ولكنها فضلت البقاء في أمريكا . وأيضاً فإن ديفيد جرير David Greer جد ترنر قد كسب حريته ولكنه اختار البقاء ، هذا ما أورده Piersen, *Black Legacy, 93.*

الهوسا (١٨٠٤ م) وبورنو Bornu (١٨٠٨ م) وأداماوا Adamawa (١٨٠٩م) وماسينا Macina (١٨١٠ م) . هذه العمليات الجهادية ، والتي استغرق بعضها وقتاً قصيراً بينما استمر البعض الآخر لفترة طويلة أدت إلى اضطراب منطقة غرب إفريقيا كلها وأدت إلى وجود العديد من أسرى الحرب الذين استعملوا في تجارة الرقيق ، وكان من بينهم عدد من المسلمين . وقد تم استرقاق عدد آخر من المسلمين من الدول غير الإسلامية مثل بامبارا Bam-bara وأشانتي Ashanti (١٢٠) .

٤ - الأمين كيبي :

نشر تيودور دوايت Theodore Dwight في عام ١٨٦٤ م تقريراً عن أولد باول Old Paul (الأمين كيبي Lamine Kebe) . كتب دوايت في مقالته عن معرفته بجوب بن سليمان وذكر أنه كان هناك آخرون من الأفارقة الذين كانت لهم خلفيات ثقافية مشابهة له . ومع ذلك فلم يكتب عن قصصهم أحد . وقد عطلت حالة الرقيق في الجنوب محاولات دوايت وشخص آخر على الأقل في تسجيل تاريخ المسلمين هناك . وقد حدد مكان عدد من المسلمين في الشمال ، ولكنه لم يستطع أن يكتب إلا عن ثلاثة منهم فقط . وذكر اسم الأمير عبدالرحمن (Abdul Rahaman or, Abd al-Rahman) ، ومورو (عمر بن سعيد) (omar ibn Said) والأمين كيبي . شاهد دوايت عبدالرحمن مرة واحدة في نيويرك في عام ١٨٣٠ م وتسلم وثيقة مكتوبة باللغة العربية من مورو فيها عرض لحياته . وأتيحت له فرصة لعمل مقابلة طويلة مع الأمين كيبي .

> *. . . وحصل [دوايت] على كمية كبيرة من المعلومات المهمة من أولد باول أو الأمين كيبي ، وقد حُرر هذا الرجل الموقر في عام ١٨٣٥ م ، كان*

---

(120) Miller and Smith, *Dictionary of Afro-American Slavery,* 370.
أصبحت البرازيل موطناً للمسلمين العبيد من بورنو الواقعة في غرب ما كان يسمى بالسودان . وكانوا مجموعة مختلطة من الناس الذي يتميزون بوجوههم العريضة وأجسامهم الضخمة كما ذكر *Nunesz, Dictionary of Afro-latin amerrican Civilization, 84.*

ذلك بعد قضائه حوالى ٤٠ سنة رقيقاً في جنوب كارولاينا South Carolina وألا باما Alabama وغيرها من الولايات الجنوبية ، وكان قد قضى حوالي سنة في نيويورك تحت رعاية جمعية الاستعمار Colonization Society حيث كان ينتظر سفينة لإعادته إلى موطنه الأصلي . وقد عمل الكاتب عدداً كبيراً من اللقاءات المطولة معه ، ولاحظ أنه شديد الاهتمام بالحديث عن موطنه الأصلي وشعبه ، كاهتمامه بالحديث عن تاريخه الشخصي . كان ذلك اهتماماً منه في نشر هذه المعلومات حتي يطلع عليها الأمريكيون . وعادة ما كان يقول : يوجد في أمريكا رجال طيبون ولكنهم جمعياً جاهلون جداً بإفريقيا . .(١٢١) .

يبدو ان دوايت كان يحترم الأمين كيبي كما كان يحترم دين الإسلام . كان يعتقد بأن الإسلام يعتبر عاملاً من عوامل نشر الحضارة عند الزنوج وقد وضعه في منزلـه أعلى من الكاثوليكية Catholicism . ويبدو أنه كان على معرفة جيدة بتـاريخ الإسلام في إفريقيا ، وقد صرّح محقاً بأن بعض المناطق الإفريقية التي يقـطنهـا السـود The Black Race وجد بها ممالك ، كان أغلبها واقعاً تحت تأثير الشرائع التي جاء بها محمد لعدة قرون وبعضها لآلاف السنين .

كانت [التعاليم المحمدية] تمثل جزءاً مهماً من نظام المسلمين ، وكان ذلك يحدث منذ فترة طويلة لدى عدد كبير من العائلات التي تنحدر من أصل زنجي ، وكـانت هذه التعـاليم تصـاغ حسب النمـوذج الحضاري للعرب والمغاربة . وعلى عكس المذهب البابوي Popery كان هذا النموذج يعتمد مبدأ أساسياً قوامه تشجيع قراءة ودراسة كتابهم المقدس مجاناً وعلى مستوى عالمي . وبدلاً من منعه عن الناس تحت التهديد بعقوبة الموت أو الخسران والهلاك ، قاموا ببناء المدارس التى تشمل جميع الفصول لهدف أساسي هو تعليم اللغات والعقيدة الدينية . وتعتمد جميع الدروس ابتداءً من الدرس الأول للاطفال على مقتطفات من

(121) Theodore Dwight, "Condition and Character of Negroes in Africa, "*The Methodist Quarterly Review* 46(January 1864): 80-81. Dwigth writes the names of the Africans as Jod-ben-Solomon, Abder-rahman, and Omar-ben-Sayeed.

القرآن الكريم والتفسير والمواد الأخرى المتعلقة به والتي تعتبر أساساً لموضوعات الدراسات المتقدمة [١٢٢]

كان تقدير دوايت لـ الأمين كيبي ولذكائه واضحاً جلياً حيث أسهب بعمل إضافات على مقابلاته معه وتطعيمها بمقتطفات أخذت من أقوال مسافرين آخرين ، والتي أكدت جميعها قصة كيبي ، وقال دوايت أيضاً : إن الأمين كيبي كان يعرف الكثير من الحقائق التي لم تكن معروفة لأكبر العلماء في أمريكا وأوروبا . ولقد حظيت بعض هذه المقابلات مع كيبي باهتمام واسع .

جذبت ٣ أو ٤ صفحات نشرت في عام ١٨٣٦ م في مجلة أبحاث الندوة العلمية الأمريكية American Lyceum اهتماماً واسعاً في أوروبا مما حدا بجمعية باريس للجغرافيا بتقديم طلبات متكررة لمزيد من المعلومات ، واستشهد بهذه الصفحات د . لاثام Dr. Latham كأحد المصادر الثلاثة الوحيدة فيما يتعلق بلغة السيريكيولي Sereculy ، ونشر ذلك في الورقة العلمية التي قدمها إلى المؤسسة العلمية البريطانية British Scientific Association.

وقدم د . كولي Dr. Coele ـ وهو أحد المبشرين التابعين لجمعية المبشرين الكنسية ـ مجموعة مختصرة لبعض المفردات لهذه اللغة (لغة باول Paul الأصلية) ، لكنه لم يذكر أي معلومات عن الناس أنفسهم . وقد كانوا يمثلون إحدى العائلات الزنجية التي أشير إليها سابقاً والذين امتزجوا معاً دون أن يصلوا إلى درجة الاندماج الكامل ، على امتداد منطقة واسعة من نيجريتيا Nigritia ، كان جزء منهم من أتباع محمد والجزء الآخر كان من عبدة الاصنام[١٢٣] .

كان الأمين كيبي من المنطقة الجنوبية من فوتا والتي كان يحكمها الفولا ، وتقع بلده جنوب الصحراء الكبرى في أقصى الغرب من المملكة المستقلة في تلك المنطقة . وانتقل إلى كيبي Kebe or Kibbe حيث تتلمذ على يد عدد من المعلمين .

---

(١٢٢) *المصدر السابق* ، ص ٧٨ .

(١٢٣) *المصدر السابق* ، ص ٨١ .

وقد أتيحت له الفرصة للخروج مع قوافل عسكرية وتجارية إلى بلاد قريبة وأخرى بعيدة وقد نقل تفاصيل عن هذه الوقائع إلى دوايت . كما تحدث كيبي عن النفوذ الإسلامي لجماعته .

. . . ولكن بما أن الفوتا كانت من البلاد التي تدين بدين محمد ، كان بإمكان هذا الدين أن يوفر الوحدة بين الطوائف المختلفة عقائدياً بشكل يكفي لانضوائها تحت حكومة واحدة ، وكان ذلك يتم بشكل عام في جو سلمي يتمتع فيه الجميع بالقوانين والفنون والتعاليم المأخوذة عن طائفة تؤمن بالنبي محمد والمستوحاة من القرآن والتي يدعو إليها المؤمنون به[١٢٤] .

وقد تحدث كيبي أيضا عن تعليم اللغة العربية وهي لغة القرآن . وذلك لأن على الإنسان أن يقرأ القرآن باللغة العربية ، فهو يعتبر حسب تصور المسلمين المستقيمين غير قابل للترجمة .

باختصار فإن بلاغة اللغة العربية وطريقة نظمها في القرآن متميزة بشكل كبير ، وفيها من القوة وشدة التأثير ما يجعل أي ترجمة مهما بلغت من الرصانة والمتانة تبدو وكأنها نسخة ضعيفة لا تكافىء بأي حال تألق النسخة الأصلية ورونقها[١٢٥] .

كانت العربية تدرس في المدارس في المجتمع الذي عاش فيه كيبي وحيثما وجد علماء الدين تلاميذ . وكان دوايت يعتقد بأن تعليم اللغة العربية هو أحد طرق الهداية (التبشير بالدين) . ولاحظ وجود علماء الدين في ليبريا وسيراليون وغيرهما ، حيث كانوا يعلمون الأطفال كتابة الحروف العربية على الرمال . كيبي نفسه كان معلماً في إحدى المدارس وأخبر بأن إحدى عماته كانت أكثر علماً منه ،

---

(١٢٤) *المصدر السابق* ، ص ٨٣ .

(125) Arthur J. Arberry, trans., *The Koran Interpreted* (New York: Macmellan, Publishing Company 1955), 24.

وكانت تشتهر بقدراتها التعليمية . كما أوضح كيبي أيضاً بأن قومه كانوا على درجة جيدة من العلم ، وهي ظاهرة لم يقم المؤرخون عادة بتسجيلها .

وقال : لقد تم إنشاء المدارس في جميع أنحاء البلاد ، حيث نصّ القانون على ضرورة توفير التعليم لجميع الأطفال لكل المراحل ، وتعليم الفقراء مجاناً . وقد أجاب على جميع الاستفسارات حول تفاصيل نظام التعليم بما فيها وسائله وقوانينه والكتب المقررة . . الخ . وبالطبع فإن الكتب كانت عبارة عن مخطوطات ، والشيء الذي كان يصعب تصديقه من قبل الأشخاص غير المطلعين في بلادنا هو أن العديد من اللغات الإفريقية الأصيلة كانت تكتب بحروف عربية ، وقد سرد قائمة بحوالي ٣٠ كتاباً مكتوبة بلغته الأم (السيراكيله أو السيراولي The Seraculleh or Serrawally) مع بعض التعريف لطبيعة هذه الكتب ومحتوياتها[١٢٦]

وتحدث وليام فوكس William Fox الذي كان يعمل لصالح بعثة وسليان Wes-leyan إلى غرب إفريقيا عن مستوى التعليم الذي كان ينتشر بين أهالي كيبي . سافر فوكس إلى المكان الذي تلقى كيبي تعليمه فيه ، وقابل هناك أحد الكتّاب وناقش معه الدين الاختياري expereimental religion ومما يذكر أيضاً أن رجلاً من نيويورك طلب عدداً من المخطوطات الإفريقية المكتوبة باللغة العربية بواسطة بعض الرحالة من الزنوج المهذبين أتباع محمد في كل من مونروفيا Monrovia وليبيريا . وقام د . بيرد Dr. Bird من منطقة هارتفورد Hartford في كونيكتيكت Commecticut بترجمة هذه المخطوطات .

. . . احتوت [هذه المخطوطات] دليلاً على وجود حماس ديني مخلص لدى كتّابها الذين وجّهوا نداءً قوياً إلى الشخص الغريب عنهم والذي كان قد طلب رسالة خطية منهم ، ويبدو أنهم كانوا يفترضون أنه لم يكن مسلماً ، وبذلك كان بتصورهم جاهلاً بخالقه وواجبه نحوه وأهمية معرفة الخالق وطاعته . بعض هذه الفقرات الواردة في تلك الوثائق تصلح تماماً لاستخدامها

(126) Dwight, "Condition and Character of Negros

كخطبة أو موعظة ، حتى في منبر أمريكي ، إلا أنها لم تكن تحتوي على فكرة المخلص [المسيح]، ولكن هناك أجزاء في هذه الوثائق تُظهر الجهل الكبير لكتابها ببعد بلادهم عن البلد الذي أرسلت الرسالة إليها[١٢٧] .

الجهل الذي أشير إليه هنا يظهر في وصفهم للصين ، والذي كان مفرطاً في الخيال مظهراً أخطاء طفولية تدل على السطحية والتي قد يعتبرها البعض دليلاً على سخافة العقل عند الزنوج . . . ومما يُسجل لدوايت Dwight قيامة بمقارنة وصف الصين الذي ورد في مخطوطات الأفارقة بالوصف الذي ذكره السير جون مانديفيل Sir Johm Maundevill لأسفاره والذي كان قد ترجم واستعمل في أوربا منذ حوالى أربعة قرون سابقة . وقد تضمن ذلك أعمالاً موثقة اشتملت على أوصاف لرجال لهم رأسين والعديد من الوحوش المخيفة ، الذين ذكر بأنهم يسكنون في بلاد أسطورية أو مناطق لا يكاد يعرف لها اسم[١٢٨] وبذلك لا تعد هذه الأوصاف دليلاً على سخافة أو حمق الزنوج ، بل إن الوصف الإفريقي للصين يظهر أن كلاً من الأفارقة والأوروبيين نجحوا في تخيل أشكال خرافية .

ظهر أن إحدى المخطوطات التي ترجمها د . بيرد Dr. Bird كانت حول موضوع أصل الإنسان . ويبدو أنها كانت عبارة عن دليل أو توجيه أخلاقي يلتزم به في الحياة . وأظهرت مقدمتها أنها ذات أساس إسلامي .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلّ على سيدنا محمد واحفظه هو وأصحابه وسلم عليه سلاماً كثيراً[١٢٩]

(١٢٧) *المصدر السابق* ، ص ٨٤-٨٥ .

(١٢٨) *المصدر السابق* ، ص ٨٤ .

(١٢٩) *المصدر السابق* ، ص ٨٦ .

٥ - الحاج عمر بن سـعيد :

في عام ١٨٣٦ م كشف مورو (الحاج عمر بن سعيد) ـ والذي كان يعيش في فايتفل Fayetteville في شمال كارولاينا عن بعض التفاصيل ، وذلك في معرض إجابته على رسالة كان كيبي قد أرسلها له . ولد عمر في عام ١٧٧٠ م في منطقة تبعد حوالى ٢٥٠ ميلاً شمال شرق داكار في فوتا تورو ، وأحضر إلى تشارليستون Charleston في عام ١٨٠٧ م . وكان عمر في ذلك الوقت متزوجاً وله ولد ولكنه لم يستطع رؤيتهم مرة ثانية . قتل والد عمر في حرب بين القبائل عندما كان في الخامسة من العمر ، وقام عمه على رعايته . وقابل بعض الدعاة إلى الإسلام الذين أقنعوه بالتحول لهذا الدين وعلّموه بعض اللغة العربية . أصبح عمر بعد ذلك داعية إسلاميا ومعلماً وكان قد بدأ ممارسة تجارة الملح والقطن قبل استرقاقه بقليل . وشارك في حروب الجهاد واستطاع أن يحج إلى مكة ، حدث ذلك قبل اسـترقاقه عندما كان في الخامسة والعشرين من العمر تقريباً . وتمكن من نقل قصته بنفسه إلى كيبي وسطر قصة حياته في عام ١٨٣١ م(١٣٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم . . ليس بإمكاني كتابة قصة حياتي فلقد نسيت معظم اللغة العربية ، فلا أستطيع قراءة الفصحى ولكن قليلاً من اللهجة المحلية . أرجو من إخواني ألا يعتبوا على فعيناي ضعيفتان وكذلك جسدي . [كان في ذلك الوقت قد بلغ حوالى ٧١ من العمر] .

اسمي عمر بن سعيد . ولدت في فوتا تورو وهو مكان يقع بين نهرين . (ربما كانا نهري السنغال وغامبيا أو السنغال والنيجر في أجزائهما العليا) . المعلمون في بوندو ـ فوتا Bund–Futa كانا أخي الشيخ محمد سعيد Moham-med Sayeed والـشيخ سليمان كيمبـا Soleyan Kimba والشيخ جبرائيل عبدالله Jebraeel–Abdel . لقد مارست التدريس لمدة ٢٥ عاماً ، ثم جاء جيش كبير إلى بلدي فقتل الكثير من الناس وأخذوني إلى البحر ، وباعوني إلى

(130) George H. Callcott, "Omar Ibn Seid, A Slave who wrote an 'Authobiography in Arabc," *The Journal of Negro History* 39 (January 1954): 58-59; and Clyde-Ahmad Winters, review of *Roots,* by Alex Haley, In Al-Ittihad 8 (October/ November 1976): 19.

النصارى الذين ربطوني وأركبوني سفينة ضخمة ، أبحرنا لمدة شهر ونصف حيث وصلنا إلى مكان يسمى بلغة النصارى تشارلستون Charleston . وهناك باعوني إلى رجل صغير الحجم وشرير يدعى جونسون Johnson كان رجلاً كافراً تماماً ، لم تكن لديه أي خشيه لله . لقد أصبحت الآن رجلاً ضعيفاً لا أقوى على القيام بالأعمال الشاقة ، وبعد شهر وصلت إلى مكان رأيت فيه بعض البيوت . وعندما ظهر الهلال ذهبت إلى بيت كبير لأداء الصلاة ، فرآني غلام وقادني بعصاه إلى مكان والده وأخبره بأنه رأى رجلاً أسود في البيت الكبير . ومن ثم جاء رجلان على ظهر الخيل أحدهما يسمى هانده Handah (هانتر Hunter) وكان معهما فرقة من الكلاب . أخذاني وجعلاني أسير معهما مسافة ١٢ ميلاً إلى مكان يسمى فايدل Faydil(Fayeeteville) ، وهناك جعلوني في بيت كبير لم يكن بإمكاني الخروج منه . بقيت في هذا المكان الذي كان يسمى سجناً بلغة النصارى لمدة ١٦ يوماً وليلة . في أحد أيام الجمعة جاء السجان وفتح الباب فرأيت عدداً كبيراً من الرجال كلهم نصارى ، صاح بعضهم ، ما أسمك ؟ لم أكن أفهم لغتهم النصرانية[١٣١] .

ويذكر عمر أن بوب مومفورد Bob Momford قد أخذه من السجن إلى بيت عائلته حيث مكث هناك أربعة أيام بلياليها وهناك جاء جيمس أوين James Owen وهو صهر مومفورد الذي كان متزوجاً من ابنته بيتسي Betsy ، سأل جيمس James عمر إذا كان يرغب بالذهاب معهم إلى بلادن Bladen . وبقي عمر في بلادن إلى الوقت الذي كتب فيه الرسالة إلى كيبي . كان جيمس أوين James Owen قائداً في الجيش التابع للولاية بينما كان أخوه جون John هو الحاكم المستقبلي لها . ورآه كلاهما في السجن حيث أخذاه إلى مزرعة جيمس في ميلتون Milton ، وهناك قاموا بشرائه رسمياً من سيّده السابق . يظهر من فقرة أخرى من فقرات الرسالة أن عمر لقي معاملة حسنة هناك بالنسبة لكونه رقيقاً . ويظهر أيضاً أنه قد تحول إلى النصرانية .

أيها الناس في شمالك كارولينا أيها الناس في جنوب كارولينا أيها الناس في أمريكا جميعاً ! يوجد بينكم رجل صالح أسمه جيمس أوين وكذلك أخوه

(131) Dwight, ''Conditions and Charter of Negroes,'' 39.

جون أوين لقد قرأ لي جيمس وأخوه الإنجيل . وفتح الله ربنا وخالقنا وملكنا الحاكم في جميع شؤوننا والمنعم ، فتح قلبي إلى الطريق المستقيم[١٣٢] .

كتب ريفـيرند وليام بلمر Reverend William Plumer مقالاً نشر في صحيفة نيويورك أوبـزيرفـر New York Observer بتـاريخ ١٩٦٣/١/٨ م . كان المقال بعنوان ميروه ـ أفريقي أصيل Meroh,a Native African يسرد المقال بعضاً من قصة حياته . واشتمل أيضاً على بعض المعلومات حول مشاهداته الدينية في أمريكا .

ذكر أن الرجل عندما حُبس في سجن مقاطعة كامبرلاند Camberland *وجد بعضاً من رماد الفحم ، فكتب على حوائط السجن بالعربية ما فهم على أنه نداء للاستغاثة ، وعندما وصل إلى عائلة القائد أوين كان مسلماً سنياً في بداية الأمر وكان يصوم رمضان ، وبسبب كرم وحسن صديقيه تم الحصول على نسخـة مترجمـة إلى الإنجليزية من القـرآن بالإضـافـة إلى نسخـة من الإنجيل ، ولكنه أصبح نصرانياً بالتدريج ، وتم تعميده وقبوله في الكنيسة الرئيسة في فايتفل* Fayetteville *بواسطة القس د . سندجراس* Snodgrass *(سجل ذلك القبول في الفترة ما بين عامي ١٨١٩م و١٨٢٢م) ، ولكنه حوّل بعدها إلى كنيسة ويلمينجتون* Wilmington[١٣٣] .

حصلت عائلة أوين على نسخة من الإنجيل المذكور أعلاه بالإضافة إلى نسخة من القرآن ـ وكان كلاهما باللغة العربية . بعد تحول عمر إلى النصرانية تم تعميده في الكنيسة . ومازال الإنجيل محفوظاً في مكتبة كلية دافيدسون Davidson والذي وصف بأنه بالٍ ومثّنى الأوراق ويوجد عليه حوالى نصف دزينة من الأغلفة المخيطة . حيث كان يضيف غلافاً جديداً إليه ويخيطه كلما تلف أو تمزق غلاف قديم . وقام عمر أيضاً بمراسلة جمعية الإنجيل الأمريكية American Bibel Society طالبـاً منهـا إرسـال نسخة من الإنجيل المترجم إلى العربية إلى قومه . وقد

---

(١٣٢) *المصدر السابق .*

(133) "Autobiography of omar ibn Said," *The American Historical Historical Review* 30 (July 1925): 791-792.

أرسلت نسخة كما طلب وأرسل رئيس القبيلة إلى الجمعية شاكراً لها[١٣٤] .

وقد كتب عمر رسالة أيضاً إلى شخص يسمى هانتر Haunter ، والذي يبدو أنه قد طلب منه كتابة سيرة حياته . ربما كان هانتر هو أحد الرجلين الذين وجداه في الكنيسة وأخذاه إلى فايتفيل . وفي عام ١٨٣١ م كشف النقاب عما يلي فيما يتعلق بحياته قبل الاسترقاق .

قبل وصولي إلى البلد النصراني ، كان ديني هو دين محمد ، رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كنت أسير إلى المسجد قبل طلوع الفجر وأغسل وجهي ورأسي ويديّ وقدميّ . وأصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وأدفع الزكاة في كل عام من الذهب والفضة والحبوب والماشية والغنم والماعز والبقر والقمح والشعير . كنت أخرج العُشر من قيمة جميع الأشياء المذكورة أعلاه . كما كنت أجاهد في كل عام ضد الكفار وحججت إلى مكة كما يفعل كل من يستطيع ذلك ـ أبي كان له ستة من الأولاد وخمس من البنات ، وأمي كان لها ثلاثة أولاد وبنت واحدة . عندما تركت بلادي كنت في السابعة والثلاثين من العمر ؛ وقضيت حتى الآن في بلد النصارى ٢٤ سنة[١٣٥] .

وأخبر عمر هانتر عن حياته من الناحية الدينية بعد تحوله إلى النصرانية . في السابق كان يحب قراءة القرآن ولكن من كانوا يملكونه كانوا عادة ما يقرؤون له من الإنجيل . ويبدو أنهم كانوا هم المسؤولون عن تحوله إلى النصرانية ، ولكن هناك معلومات متضاربة عن عمق هذا التحول . كتب القس جيرلي Reverend Gurley في عام ١٨٣٧ م أن عمر حافظ على صلة صادقة بدين آبائه واحتفظ بنسخة من القرآن باللغة العربية . . والذي كان بمثابة أغلى كنز لديه[١٣٦] وربما كان هناك بعض الأسباب التي تشعر بأن تحول عمر إلى النصرانية لم يكن عميقاً جداً . ربما حدث معه كما حدث مع غيره من المسلمين حيث اندفع إلى التظاهر

(134) Callcott, "Omar Ibn Seid," 62-63.
(135) "Autobiography of Omar ibn Said," 793-794.

(١٣٦) *المصدر السابق ص ٧٩٠ .*

بتنصّره من أجل أن يرضى سيّده . ربما كان تمزق نسخة الإنجيل التي عنده يدل على اهتمامه الشديد بمحتوياته . ومع ذلك عندما قام أحد القساوسة بترجمة النسخة الموجودة عنده من المزمور الثالث والعشرين ، وجد أنها تبدأ بالكلمات التالية اللهم صلّ على النبيَّ محمد . وهناك العديد من الملاحظات المدونة في نسخة الإنجيل التي لديه تعبر عن آراء نصرانية وإسلامية معاً[١٣٧] . فيما يلي بعض المقتطفات التي توضح أحاسيسة وملاحظاته .

[الحمد لله رب العالمين ، حمداً وافراً . إنه واسع الرحمة كثير العطف] . أنزل الشرع والقانون على موسى ولكن الفضل والحق أنزل على عيسى المسيح . عندما كنت من أتباع محمد كنت أصلي كما يلي : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . أمين - ولكنني الآن أدعو هكذا بسم الأب . الخ . . ، بكلمات سيدنا عيسى المسيح[١٣٨] .

حلل أحد المترجمين أسلوب عمر في الكتابة . ومن الواضح أنه كان يقدّر عمر بسبب إنجازاته العلمية الظاهرة .

كان الحديث غامضاً جداً في لغته ، فالكاتب - كما اعترف هو بنفسه - كان جاهلاً بقواعد اللغة . . . كتبت القصة بأسلوب بسيط واضح جلي - مع وجود بعض الاستثناءات ، أو بأسلوب عربي غربي . . . ويعطي ذلك لمحة عن درجة العلم التي وصل إليها المسلمون السود ، يظهر ذلك عندما نرى رجلاً مثله يكتب بلغة تختلف كثيراً عن لغته الأم . فأين تجد شاباً أو حتى رجلاً بالغاً بين جماهير شعبنا يستطيع أن يكتب مثل ذلك باللاتينية أو اليونانية؟[١٣٩] .

---

(137) Callcott, "Omar Ibn Seid," 62.
(138) "Autobiography of Omar ibn Said," 794.
(139) Dwight, "Condition and Character of Negroes," 90-91.

وحسب ما يذكر أحد أحفاد عائلة أوين والذي أكد رواية عمر حول قصة حياته ، فإن عمر كان مستمتعاً بحياته في مقاطعة بلادن في ولاية ميلتون . فلم يكن يعامل كالعبيد ، وكان له مقعد خاص به في كنيسة المقاطعة . كان يملك بيتاً خاصاً به وزنجي صغير كان يحضر له الطعام الذي يعده رئيس الطهاة . انتقلت عائلة أوين في الخمسينات من القرن التاسع عشر إلى ويلمنجتون في شمال كارولينا واصطحبوا عمر معهم . وأصبح عضواً في الكنيسة الرئيسة Pre-sbyterion Church لتلك الجالية وكبير الخدم في هضبة أوين Owen Hill وهي مزرعة الحاكم أوين . كان عادة ما يُرى جالساً على الشرفة لابساً معطفاً أسود طويلاً وعمامة ، وفي بعض الأحيان كان يسلّي الأطفال بما يرويه لهم من قصص(١٤٠). توفي عمر بعد الحرب الأهلية في عام ١٨٧٤ م . وفي عام ١٩٢٥ م . كانت صورة شمسية له وبعض المخطوطات العربية ماتزال محفوظة لدى عائلة سيده السابق (١٤١).

وفي مقابلة أخرى مع مورو نشرت في مجلة أفريكان ريبو سيتري *African Re-pository* في يناير ١٨٦٩ م أضافت بعداً جديداً لحياته . كان في حوالى ٨٩ من العمر في ذلك الوقت وأعطت تلك المقابلة لمحات عن الروابط العالمية للإسلام .

> *بينما أكتب عن ذلك الرجل المسكين الذي ذكر اسمه آنفاً ، توجد أمامي على الطاولة رسالة مهمة موجهة إليه . إنها رسالة بالعربية (مترجمة إلى الصينية والإنجليزية) مرسلة إلى مورو من ينغ Yang ، وهو صيني من أتباع محمد ، يسكن في كانتون Canton ، والتي تمت كتابتها بناء على اقتراح تقدم به القس د . بول Rev. D Ball ، وهو مبشر مبتعث إلى كانتون الذي كان على معرفة بكليهما . فيما يلي خاتمة الرسالة : إن الإله الحقيقي الأعظم ، بعطفه وكرمه على أخي الأكبر مورو الذي استلمت رسالته وفهمتها جميعاً ، ولكننا نبعد عدة الاف من الأميال عن بعضنا البعض بحيث لا نستطيع رؤية بعض والحديث وجهاً لوجه ، ولكني مازلت أطمع في الفضل الدائم للإله الحق . ذلك سيكون من عظيم توفيق الله ! إنني أعرف بأنني تأملت باهتمام وتفكير متزايد*

(140) Callcott, "Omar Ibn Seid," 62.
(141) "Autobiography of Onar ibn Said," 971.

تلك الحروف القديمة التى تنقل كلمات الاحترام والأمل من رجل في أقصى الشرق إلى آخر في أقصى الغرب ، والتي كتبت بلغات يتحدث بها حالياً أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية(١٤٢)

٦ - عبدالرحمن إبراهيم :

ولد عبدالرحم إبراهيم Abd al-Rahman Ibrahima ـ الملقب بالأمير المغربي في عام ١٧٦٢ ، وربما كان ذلك يوم الإثنين أو الجمعة . لا يعرف شيئا عن والدته سوى أنها كانت من طبقة الشرفاء وكانت إحدى أربع زوجات . كان جده ملكاً للمقاطعة . وأبوه سوري Sori كان قد استولى على أراض جديدة انتقلت إليها عائلته عندما كان إبراهيم في الخامسة من العمر . وأطلق الجيش على سوري Sori لقد المامي Almaami أي الذي يؤم الناس في الصلاة [الإمام] وذلك بعد انتصاره في إحدى حروب الجهاد . وفي الخمسينات من القرن الثامن عشر قاد عدداً من حروب الجهاد في مناطق إفريقية يحكمها الفوتا . كانت عائلته تعيش في بلدة تمبو Timbo والتي كان تعداد سكانها يزيد على ٦٠٠٠ نسمة قبل بداية القرن التاسع عشر . وكانت البيوت في تلك البلدة مستديرة ذات جدران مصنوعة من الطين وغرف واسعة مهوّاة ، ولكل مسكن فناء محاط بسياج مرتفع . وقد أعجب بعض الأوروبيين بهذه البلدة وبمسجدها .

كان المسجد المحاط بأشجار البرتقال من أبرز وأشهر المباني في البلدة ، وهو ثاني أقدم بيوت العبادة في الفوتا . بني المسجد على شكل مخروط ضخم مدعم من الداخل بأعمدة خشبية مثبتة في أرض طينية صلبة . كان المؤمنون يصلون على سجاد من جلد الخروف مرتب في صفوف تبعد ثلاثة أقدام عن بعضها البعض . كان للعائلات المعروفة مثل عائلة سوري Sori بيوت ريفية غرب تمبو ، وغالباً ما يسكنون هناك(١٤٣) .

(142) John W. Blassingame, ed. *Slave Testimony: Two Centuries of Letters, Speeches, Intervies, and Autobiographies* (Baton Rouge: Louisiana State University Press, 1977), 470.

(143) Terry Alford, *Prince Among Slaves* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1977), 4-6., 9.

وصف أمـيركان سيروس جريفن American Cyrus Griffin في عام ١٨٢٨ م التعليم في مدارس المسلمين . رغم أن التعليم كان نظرياً مفتوحاً للجميع فإنه عادة ما تجد أن عدد أبناء الطبقات العليا أكثر من غيرهم . وكان رجال الدين المرتبطون بالمساجد يعلمون القراءة والكتابة والحساب بالإضافة إلى اللغات .

كانت نسخ خطية من القرآن وكتب الدين وغيرها توزع في المدارس . انتشرت المكتبات الخاصة التي تحتوي على كتب الدين والفقه ، وكانت الكتب وأوراق الكتابة تعتبر من الهدايا القيمة . معظم المسلمين الصغار - الذين كانوا يضربون بعصى المعلم المُمَهْمَزة عندما تفشل الوسائل الأخرى - قرأوا القرآن عدة مرات ونسخوه مرة واحدة على الأقل قبل بلوغهم الثانية عشرة من العمر . وكانت تتوفر دراسات إضافية عن القانون الإسلامي لمن أردا[١٤٤] .

عندما بلغ إبراهيم الثانية عشرة من العمر أرسل إلى ماسينيا ومدينة تمبوكتو والتي تبعد ألف ميل من أجل إكمال تعليمه . وربما كان يتم إعداده من أجل أن يخلف والده في مركزه . وربما تعلم القرآن في تلك المدينة كثيرة المساجد بالإضافة إلى الجغرافيا والفلك والحساب . . . وقوانين البلاد وغيرها من المواضيع[١٤٥] . وكان في عام ١٧٨١ م بداية قصة أثرت على سير حياة إبراهيم بعد سنوات عديدة .

عندما كان الأمير في التاسعة عشرة من العمر ، كان د . [جون كوتس John Coates] كوكس Cox ، وهو مواطن أمريكي وجراح على ظهر سفينة وصلت إلى سيراليون . ذهب كوكس في رحلة سريعة للصيد في الأدغال ولكنه ضاع في الغابات وعند وصوله إلى ساحل البحر وجد أن سفينته قد أبحرت . ومن ثم قفل أدراجه إلى البلد ووصل بعد وقت طويل متعباً ومنهك القوى إلى فوتـا جالون . وكان أول رجل أبيض يُرى في تلك البلاد ولذلك فقد حُمل بفضول شديد إلى الملك في تمبو الذي هو والد عبدالرحمن إبراهيم[١٤٦] .

---

(١٤٤) المصدر السابق، ص ٦ .

(١٤٥) المصدر السابق، ص ١٣ .

(146) Robert Benjamin Lewis, *Light and Truth, From Ancient and Sacred History,* (Portland, ME: D.C. Clesworthy, 1836). 137-139.

كان كوكس أول رجل أبيض يراه سكان تمبو . فكانوا يتزاحمون حوله باستمرار لدرجة أنه كان بحاجة إلى حرّاس من أجل أن يتمشى قليلاً فقط(١٤٧). وأكرمه الملك لمدة ستة أشهر وأعطاه بيتاً وممرضاً وبعض الملابس والذهب والعاج وحرساً مسلحين ليوصلوه إلى سفينته فيما بعد . وبينما كان كوكس في تمبو تزوج وحملت زوجته التي ربما كانت أخت إبراهيم . وانضم إبراهيم الى مجموعته فأتقن بذلك الإنجليزية . ودع كوكس الأفارقة (وزوجته الحامل في غالب الأمر) وعاد إلى أمريكا(١٤٨) . وفي ذلك الوقت أصبح إبراهيم بدرجة كولونيل في جيش والده . وعند عودته من إحدى الهجمات الناجحة بوغت الجيش مما أدى إلى أسر إبراهيم ، وبيع إلى الماندين الذين باعوه بدورهم إلى أحد تجار العبيد في ثغر غامبيا . وأخيراً بيع إلى الكولونيل توماس فوستر Thomas Foster في ناتشيز Natchez في منطقة المسيسيبي Mississippi . اشترى فوستر امرأة تسمى إيزابيلا Isabela «وكانت امرة جميلة وجذابة» ونصرانية ، تزوج منها إبراهيم في يوم عيد الميلاد سنة ١٧٩٤ م ، وعملت لهما حفلة رسمية مما يشير إلى أنهما كانا يعاملان معاملة أرفع مستوى من غيرهم من العبيد .

اصطحبت إزابيلا معها ثلاثة من الأطفال إلى مزرعة فوستر ولكن واحدفا منهم فقط هو ليميرك Limerick كان يعرف بأنه ابنها ، أما الاثنان الآخران يعقوب Jacob وأناكي Anaky اللذان كانا أكبر سناً من لميريك فيحتمل أنهما من أبنائها أيضاً . أنجب إبراهيم وإزابيلا ثلاثة أطفال خلال عشر سنوات هم سيمون Simom وبرنس Prince وابن ثالث لم يعرف اسمه(١٤٩) . وفي السنوات اللاحقة أنجبا أربعاً من البنات . كان فوستر يعلم أن إبراهيم على درجة عالية من العلم فوضعه مسؤولاً بعده عن المزرعة . وسمح له أيضاً بممارسة شعائر دينه ، وربما كان ذلك لما يعلمه فوستر بأهمية العلم في الإسلام . وصفت كارولين ثاير Caroline Thayer ـ شاعرة المسيسيبي ـ إبراهيم بأنه من أتباع محمد المتمسكين جداً بتعاليم

(147) Alford, *Prince Among Slaves*, 17.

(١٤٨) *المصدر السابق* ، ص ١٨ .

(١٤٩) *المصدر السابق* ، ص ٤٤-٥٥ .

الدين . كما لاحظ أيضاً أندرو مارستشوك Andrew Marschak وهو صاحب مطبعة في المسيسيبي بأن إبـراهيم متمسـك جداً بدينه[١٥٠] . ولكنه كان يصعب عليه الاستمرار في دراساته هناك .

على أي حال ، لم يكن لدي إبراهيم ورق أو أقلام ، كما لم يكن لديه مصحف . ومرت عليه عشرات السنين دون أن يرى كتاباً إسلامياً واحداً أو ورقـة مكتـوبة بالعربية ومن أجل أن يحافظ على علمه كان يكتب الحروف العربية على الرمال عندما يعلن توماس عن وقت للراحة أثناء العمل . . . تعلم أن يتكلم الإنجليزية بشكل متقطع فكان يحذف حروف العطف وكان يستعمـل كلمة He أو De بدلاً the . ولم يكن هناك أي جهد يذكر لتعليمه القراءة والكتابة . اعتاد توماس على العمل مع الأميين ولم تكن زوجته أو أمه تعرفان كتابة اسميهما . أما شعور إبراهيم الخفي بعلو شأنه بسبب ما يمتاز به من العلم فقد كان يضيع في جو من الفظاظة والخشونة كان يسود المزرعة[١٥١] .

لم يسجل أحد ما إذا كان إبراهيم قد أجبر على أكل لحم الخنزير ، حيث كان فوسـتر يقـوم بتربية الخنـازير في مزرعتـه (سجلت بعض الحـالات التي تمكن المسلمـون فيهـا من المحـافـظة على عدم أكل المحرمات عندهم) ، وسمح له ولزوجته بالحصول على حديقة صغيرة خاصة بهما وبيع محصولها في البلدة جنباً إلى جنب مع الطحالب الإسبانية التي كانوا يجففونها لعمل الفرشات . وقد منحه فوستر إذناً خاصاً للذهاب إلى ناتشيز Natchez في أيام السبت والأحد . وتمكن هناك من الحديث مع بعض الأفارقة بلغته وهي لغة الفولا ، والتي كان العديد من الأفـارقة يفهمونها ، وأعطاه ذلك فرصة استلام الرسائل من بلده . وبعد سنوات طويلة من أسره استلم رسالة من بلده .

---

(١٥٠) *المصدر السابق ، ص ٥٧ .*

(١٥١) *المصدر السابق ، ٥٨ .*

صاح به الرجل : عبدالرحمن (إبراهيم) ! عندما رآه يسجد على الأرض .

كانت سجدة شكر وتقدير فعلها إبراهيم على غير عادته وفي غير المكان المناسب . الرجل الذي سلمه الرسالة عرف بأنه زنجي من مملكة أبي إبراهيم . ومن المحتمل أن يكون من الجالونك Jalunk *الذين بيعوا أو سرقوا من تلك المنطقة*[١٥٢] .

عرف إبراهيم بأن والده قد توفي مطمئناً في فراشه بعد أن أسر بفترة قصيرة ، وأن أخاه سعدو Saadu قد نصّب نفسه ملكاً almaami . حكم سعدو لمدة سبع سنوات . كان رجلاً ورعاً جداً وتقياً ولكن أحد منافسيه قاد انقلاباً عليه وطعن المشاركون في هذا الانقلاب سعدو حتى الموت وطردوا أتباعه . ومن المحتمل أن يكون إبراهيم قد قتل فيها لو كان مقيماً في تمبو في ذلك الوقت[١٥٣] .

لم يندمج إبراهيم أبداً في ثقافة الأمريكان العامة أو ثقافة العبيد . كان يبدو شخصية متميزة عن هاتين الدائرتين . وبالرغم من أن البيض كانوا ينظرون إليه على أنه مجرد عبد ، إلا أنه كان يشعر بأنه أعلى منزلة وشأناً من أمثاله من النصارى . لم يكن قوم إبراهيم ـ الفولانيون ـ يقصّون شعورهم وبعد أن قصّ شعره أعفاه وتركه . لم يكن لديه وقت طويل لحضور طقوس الطهارة التى اشتهرت بها مجموعته ، وأثر عليه ذلك إضافة إلى عملية استرقاقه من الناحية الصحية والنفسية واحترام الذات .

ظل نموذجاً للنزاهة والجد في العمل ورجلاً يعتمد عليه في أي أمر يركز اهتمامه فيه . لم يشرب الخمر قط ولم يلعن أحداً قط ولم يُضبط في أي عمل شائن أو مخادع أبداً . وصمم على البقاء ونجح في ذلك ولكنه دفع ثمناً شخصياً باهظاً . قال رجل كان يعرفه عن قرب لمدة عقدين من الزمان ـ على الرغم من مرور السنين وبالرغم من حب زوجته له وسعادة أسرته وبالرغم من

---

(١٥٢) *المصدر السابق*، ص ٦٠-٦١ .

(١٥٣) *المصدر السابق* ، ص ٦١-٦٢ .

احترام مالكه له - لم ير أبداً ابتسامة ترتسم على وجهه خلال السنوات التي عرف فيها إبراهيم(١٥٤) .

حدثت حادثة غير عادية هي التي أدت إلى عودته إلى إفريقيا . وبمساعدة صاحب المطبعة مارستشوك Marschalk والسناتور الأمريكي لمنطقة المسيسيبي توماس ريد Thomas B. Reed وسكرتير الدولة هنري كلاي Henry Clay والرئيس آدمز Adams تحولت مأساة إبراهيم إلى سبب من أسباب شهرته .

. . . بينما كان الأمير يبيع البطاطا الحلوة في واشنطن العاصمة Washington D.C. قابل د . كوكس الذي كان قد عرفه قديماً في إفريقيا وصاحبه في المسكن في تمبو ، عرفه بمجرد رؤيته ولأول وهلة . ذهب الدكتور كوكس - وبكل ما في نفسه من شكر وعرفان للأمير - إلى الكولونيل فوستر وعرض عليه مبلغاً قدره ألف دولار كفدية ، ولكن فوستر كان يقدره بأثمن من ذلك بكثير ، لأنه كان له تأثير إيجابي على العبيد ، وبالتالي رفض هذا العرض . ولكن التوسلات العديدة التي قام بها أحد أبناء د . كوكس وآخرون أدت إلى تحرير الكولونيل عبدالرحمن Col. Rahahman وزوجته في ربيع عام ١٨٢٨ م(١٥٥) .

قصّ إبراهيم Ibrahima نفسه قصة مقابلته للدكتور كوكس ولكن روايته اختلفت قليلاً عن الرواية التي ذكرت سابقاً ، وأعطت مزيداً من التفاصيل . فمثلاً ورد في رواية إبراهيم التي سجلت في عام ١٨٢٨ م أن تلك المقابلة حدثت في ناتشيز Natchez وليس في واشنطن .

بعد أن قضيت هناك [في ناتشيز] ست عشرة سنة ، قدم الدكتور كوكس إليها وقابلته في أحد الأيام في الطريق ، فقلت لرجل جاء معي من إفريقيا : سامبو Sambo إن هذا الرجل يبدو كرجل أبيض كنت قد رأيته في

(١٥٤) المصدر السابق ، ص ٦٤-٦٥ .

(155) Lewis, *Light and Truth,* 139-140.

بلدي . أنظر إليه عندما يمر بنا ؛ فإذا ما فتح عيناً واحدة فقط فإنه يكون هو الـرجل نفسه . وعندما اقترب منا لم أحب إيقافه دونما سبب ، فقلت له : سيدي هل تود شراء شيء من البطاطا ؟ فسألني : أي بطاطا لديك ؟ وبينما كان ينظر إلى البطاطا نظرت إليه بإمعان فعرفته تماماً ، ولكنه لم يعرفني ، ثم قال : من أين أتيت ؟ فقلت له : من عند الكولونيل فوستر . فقال : ولكنه لم يربك بنفسه ، ثم أردف : هل أتيت منَ تمبو؟ فأجبته : نعم سيدي . فقال الرجل : هل اسمك عبدالرحمن ؟ فقلت : نعم سيدي . ثم وثب عن حصانه وعانقني وسألني كيف وصلت إلى هذا البلد ؟ ثم قال لي : ألق هذه البطاطا وتعالى معي إلى بيتي . فقلت له : لا أستطيع لأنه يجب علي أنَ أعيد البـطاطـا إلى البيت . ثم أمتـطى حصانه بسرعة ونادى امرأة زنجية لتأخذ البطاطا عن رأسي . ثم أرسل إلى الحاكم W . ليأتي لرؤيتي . وعندما جاء قال له د . كوكس : لقد ذهبت إلى بيت والد هذا الغلام وعاملوني كأحسن ما يعـاملني والـدي . ثم أخبر الحاكم بأنه على استعداد لشرائي بأي ثمن وإرسالي إلى بلدي . وفي اليوم التالي استفسر عن الثمن الذي يمكنه شرائي به ولكن سيدي لم يكن راغباً في بيعي . وعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال ولكنه رفض . ثم قال له : إذا لم تستطع بيعه فعامله معاملة حسنة . وبعد موت د . كوكس عرض ابنه مبلغاً كبيراً لشرائي[١٥٦] .

أظهـرت رسـالة هنري كلاي Henry Clay بتاريخ ١٢ / ١ / ١٨٢٨ م مدى الاهتمام الذي حظي به وضع إبراهيم . فقد أرادت الحكومة نقله إلى ليبيريا وهي مكان زاره إبراهيم في شبابه ولا يبعد كثيراً عن موطنه الأصلي . وتعاونت في ذلك الجمعية الاستعـارية الأمـريكية American Colonization Society وهي مؤسسـة تسعى لتخليص الولايات المتحدة من السود المحررين . وكتب كلاي مايلي :

إن الرئيس مهتم باهتمام بموضوع العبد المغربي الموجود حالياً في حوزة السيد توماس فوستر . ويرغب الرئيس في إعادة الأمير ـ العبد المذكور أعلاه ـ

(156) Blassingame, *Slave Testimony*, 686

إلى عائلته وبلده من أجل إعطاء انطباع حسن عن الولايات المتحدة . ولذلك فإنه لا توجد أية صعوبة في الاستجابة لشروط السيد فوستر والتي هي حسب فهمي أن لا يسمح للأمير بالبقاء في هذا البلد بعد إعتاقه ، بل يرسل إلى بلده دون تحميل السيد فوستر أي تكاليف والذي يسره ألا يطلب شيئاً في مقابل تحرير الأمير بناء على هذه الشروط(١٥٧) .

أطلق توماس فوستر سراح إبراهيم من العبودية ، ولأول مرة منذ عدة عقود أصبح غير تابع لأحد . ومباشرة ظهرت قضية مهمة ـ ألا وهي مصير زوجته التي أنجبت له تسعاً من الأولاد . ولكن لجنة شكلت من خمسة أشخاص بما فيهم الداعية الشهير لإلغاء العبودية آرثر تابان Arther Tappan تمكنت من تأمين حرية أسرة إبراهيم(١٥٨) .

أحد الرجال المهمين الذي عاصر إبراهيم واجتمع به عدة مرات كان جون راسورن John Russwurn وهو ابن لمزارع أبيض وامرأة سوداء وأحد الأوائل من السود الذين حصلوا على درجة جامعية (١٨٢٦م) . وكان أيضاً محرراً لجريدة السود الشهيرة وهي جريدة الحرية *Freedom's Journal* . أمضى راسورن عدة ساعات مع إبراهيم واجتمع إليه وهو يصلي وقد أصبح أكثر ميلاً لوجهة النظر الإفريقية بالنسبة للعالم . كان راسورن يعارض مخططات الجمعية الاستعمارية الأمريكية ، ولكن اتصاله بإبراهيم أخذ يؤثر به تأثيراً كبيراً ، فأصبح يزداد سخطاً على وضع السود في الولايات المتحدة وبعد الاستماع إلى إبراهيم والاطلاع على ما لديه بدأ يفكر في الهجرة إلى إفريقيا .

« إني أعد الحديث عن التمتع بالجنسية الأمريكية في الولايات المتحدة مضيعة للكلام ، إن ذلك مستحيل تماماً حسب طبيعة الأشياء ، ولذلك فإن على جميع من يلهثون وراء ذلك تحويل أنظارهم إلى العيش في مكان آخر . هذا ما كتبه في فصل الشتاء من ذلك العام(١٥٩) » .

(157) Alford, *Prince Among Slaves*, 106-107.

(١٥٨) *المصدر السابق* ، ص ١٠٨ ، ١٦٤ .

(١٥٩) *المصدر السابق* ، ص ١٦٧-١٦٨ .

في أواخر عام ١٨٢٨ م توسل أصحاب إبراهيم إليه لمغادرة الولايات المتحدة بأسرع فرصة ممكنة . وذلك لأن أندرو جاكسون Andrew Jackson الذي كان تاجراً للعبيد سوف يصبح قريباً هو الرئيس ، وبالتالي فإنه تصبح هناك شكوك حول إمكانية مغادرة إبراهيم للولايات المتحدة . وقد سبب شهرة إبراهيم اهتماماً سلبياً به في منطقة ناتشيز أدى - بدون قصد - إلى ظهور تحدٍ لموقف أنصار العبيد . عاد إبراهيم إلى زوجته بعد غياب لمدة خمسة أشهر في رحلات خارج فيلادلفيا . وشارك السود هناك في مهرجانهم واحتفالهم في كنيسة ويسلي Wesley بمناسبة رأس السنة في ١ يناير ١٨٢٩ م ، شارك فيها كضيف شرف . استقل إبراهيم وازابيلا القارب البخاري فرجينيا الذي أبحر في ٢١ يناير من ذلك العام ، في رحلة العودة إلى إفريقيا . وبعدها انتقلوا إلى سفينة هاريت Harriet التي وفرتها الجمعية الاستعمارية والتى كانت تحمل الحرية لمائة وخمسين من ركابها . وقد أبحرت هذه السفينة في ٩ فبراير إلى إفريقيا . وكان من بين العبيد المحررين رجل يسمى ج . ج . روبرت J.J. Roberts الذي أصبح أول رئيس لجمهورية ليبريا فيما بعد[١٦٠] . وصلت السفينة في ٨ مارس إلى مونروفيا Monrovia وهي بلدة فيها من ٨٠ - ١٠٠ منزل فقط أصيب إبراهيم بحمى الساحل ولكن يبدو أنه شفي منها . وأصيب العديد من ركاب السفينية Harriet بالمرض الذي أودى بحياتهم . كتب إبراهيم رسالة إلى جون راسون في نيويورك حذره فيها من الذهاب إلى ليبيريا لأنه إذا جاء سيصبح رجلاً ميتاً بالتأكيد . عرف إبراهيم بأن أحد إخوانه أصبح حاكماً فجهز نفسه للعودة إلى موطنه بعد انقضاء المطر في شهري مايو ويونيو . وفي أواخر يونيو أصيب بالإسهال الذي أنهك قوته وأفقده شهيته . وأحس بأنه سيموت قريباً . مات إبراهيم في ٦ يوليو ١٨٢٩ م . وكان قريباً جداً من بلده ولكنه لم يستطع الوصول إليها أبداً[١٦١] .

---

(١٦٠) *المصدر السابق* ، ١٧٤ - ١٧٧ .

(161) Lewis, *Light and 'Truth,* 140-141.

لم يتمكن ذلك الرجل كبير السن من الرجوع إلى بلاد الفوتا . حتى إنه لم يتمثل بالنبي موسى الذي ذكر في القرآن بأنه استطاع رؤية الأرض التي كان يتوق إليها من على سطح أحد الجبال . ولكن رغم أنه لم يستطع العودة إلى وطنه أبداً فإنه من الجدير بالذكر بأن جزءاً من هذا الوطن بقي ملازماً له . هذا الجزء حمله معه دائماً وبطريقة ما وبالرغم من الحياة المهينة التي عاشها فإنه تمكن من المحافظة عليه سليماً دون خدش[١٦٢] .

٧ - توم الإفـــريقـــي (صالح بوالعـلي) :

الجيولوجي البريطاني الشهير السيد تشارلز لايل Sir Charles Lyell في زيارته قبل عام ١٨٤٥ م إلى مزرعة هوبتون Hopton الواقعة في جزيرة سانت سيمون St. Simon's Island في جورجيا ، قابل أولد توم Old Tom « أكا aka توم الإفريقي African Tom » . توم - الذي كان صديقاً حميماً لـ بوالله Bu Allah - كان السائق الرئيس للمزرعة وكان مسلماً . ولكن أولاده وأحفاده تحولوا إلى النصرانية كما فعل العديد من أحفاد المسلمين العبيد[١٦٣]) . وكان قد ولد كواحد من قوم الماسينا الفولانيين وقد سُمي حينها بـ صالح بلالي Salih Bilali (صالح بو العلي Sali – Bul – Ali) . وفي رسالة ربما تكون قد كتبت في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر ذكر سيّده بأنه كان يقرأ العربية وكان من أتباع محمد الملتزمين وكان يمتنع عن شرب الخمر ويحافظ على الصوم وخاصة في رمضان[١٦٤] .

لم يُعـرف الكثير عن صالح فيما عدا ما كتبه عنه سيّده وبعض صفحات المذكرات عن ماسينا التي سجلها جيمس هاميلتون كوبر James Hamilton Couper الذي قدم من هوبتون Hopton . كان كوبر هو ابن جون كوبر John

(162) Alford, *Prince Among Slaves,* 179-183.

(163) Albert J. Raboteau, *Slave Religion: The "Invisible Institution" in the Antebellum South* (New York: Oxford University Press, 1978), 46.

Ivor Wilks, "Salih Bilali of Massina," in *Africa Remembered: Narratives by West*

(164) *Africans from the Era of the S lave Trade,* ed. Philip D. Curtin (Madison, WI: University of Wisconsin Press, 1967), 145.

Coper بطريرك جزيرة سانت سيمون الذي كان صديقاً حميماً لجيمس سبالدينج James Spalding . وكـان صالـح بلالي Salih Bilali قد ولد في سيركا Circa عام ١٧٧٠م الواقعة بالقرب من موبتي Mopti على نهر النيجر . وأسر عندما كان في الثانية عشرة من العمر بواسطة تجار العبيد (كانوا غالباً من البامبارا Bambara) ، وأخذوه إلى ساحل الذهب The Gold Cast . وتم تسليمه من واحد إلى آخر حتى أصبح رقيقاً في الباهاما . وفي القرن التاسع عشر انتقل إلى مزرعة هوبتون Hop-ton وبحلول عام ١٨١٦ م رقُي إلى منصب كبير السائقين[١٦٥] . وعرض الأدميرال البريطاني كوكبرن Cockburn على صالح حريته أثناء الحرب التي حدثت في عام ١٨١٢ م ولكنه رفض هذا العرض .

ولكن توم الإفريقي رفض هذا العرض ، موضحاً أن السادة البريطانيين كأمثالهم من الأمريكان ، وأن الله وحده هو السيد الحقيقي[١٦٦] .

وضمن ما جمعه عن أحـوال بلاده وصف ما كان يذكره وهو صبي حول الوضع الديني هناك . فالعديد من الطوائف في ماسينا Macina ـ مثل طائفته ـ كانوا مسلمين بينما كان الآخرون من المشركين . وهناك أيضاً بعض الطوائف التي كان تمر في فترة انتقالية من الشرك إلى الإسلام والذين كانوا يخلطون الاثنين معاً .

كانت المساجد تبنى من الطوب الجاف ، مثل أفضل البيوت ، وبها محراب باتجاه المشرق والذي كان يتوجه الإمام Al-Mami إليه في صلاته ـ باتجاه مكة[١٦٧] .

---

(١٦٥) *المصدر السابق .*

(166) Kly, "The African-American Minority." 153.
(167) Wilks, "Salih Bilali of Masina," 159.

وخصص فيما بعد عدة سطور من مذكراته للحديث عن قومه . وعندما سرد أنواع الحيوانات التي كانوا يربونها أشار إلى أنهم لم يكونوا يربون الخنازير .

كان السكان الأصليون يمتازون بشعورهم الصوفية المجعّدة وكان الرجال والنساء يُضفّرون شعورهم ضفائر طويلة تتدلى على جانبي الرأس . وفي الحروب كانوا يستعملون التروس والحراب . وليس السهم والقوس . كان جميع الأولاد يتعلمون القراءة والكتابة باللغة العربية بواسطة رجال الدين (المعلّمين [Mualim] Maalims) ، ويرددون القرآن ويكتبون على السبّورة التى كانت تمسح بمجرد امتلائها . لم يكن لديهم أي رقيق ، ومن يرتكب جريمة يعاقب عليها بالغرامة . كان الرجال يعملون في الحقول وصيد السمك ورعي الماشية والحياكة . وعملت النساء في الغزل وأعمال المنزل ولم يكن يعملن في الحقول أبداً[١٦٨] .

٨ - نيكولس سعيد :

نشرت ملجة « الأطلسي » الشهرية The *Atlantic Monthly* جزءاً من سيرة حياة نيكولس سعيد Nicholas Said في عددها الصادر في أكتوبر عام ١٨٦٧ م . خدم نيكولس في فرقة عسكرية خاصة بالسود أثناء الحرب الأهلية واهتم به أحد الكتاب لسببين . أولا لأنه سجّل أن مكان ولادته في إفريقيا وثانياً بسبب الوشم الموجود على وجهه . وكان قد ولد في بورنو Bornu وهي من أقوى الممالك في السودان وذكر بأنه لم يعرف الإنجليزية جيداً والقليل والذي تعلمه منها كان بواسطة كتب كتبها الفرنسيون . وتحدث نيكولس أيضاً عن ثقافته الإسلامية .

هؤلاء الأقوام هم من أتباع محمد الملتزمين ، وقد تحولوا [إلى الإسلام] قبل قرنين أو ثلاثة قرون من الزمان بواسطة العرب البدو والمغاربة الذين اندفعوا إلى السودان بحثاً عن الثروة والمال . تنتشر عدة لغات بين هذه الأقوام بعضها مكتوبة والبعض الآخر ليس كذلك ، ولكن اللغة العربية هي

(١٦٨) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

المستعملة بشكل كبير بين الطبقات العليا من الناس ، كما أن اللاتينية تستخدم عند القساوسة الكاثوليك . وكان القرآن بشكل خاص مكتوباً بالعربية ، وفي بلدي لم يكن يسمح لأي شخص بحمل الكتاب المقدس إلا إذا كان قادراً على قراءته وتفسير محتوياته[١٦٩] .

نشأ نيكولس في عائلة غنية وشهيرة وبعد وفاة والده تعلّم بلغته الأصلية وكذلك باللغة العربية . وتم ختانه عندما بلغ الثالثة عشرة من العمر في احتفال مع ٣٠٠ ولد آخرين . وكان قد حُذّر من التجول بعيداً في الغابات ولكنه لم يأبه بذلك . وفي أحد أيام شهر رمضان وبينما كان يصيد مع مجموعة من أصحابه ، أسر نيكولس بواسطة أفراد من قبيلة كيندل Kindil وتم استرقاقه .

كنا حوالي أربعين ولداً ، أسر منا ثمانية عشر . كنت أتمنى أن يكون ذلك مجرد حلم وليس حقيقة ، ومرت بخاطري جميع التحذيرات التي تلقيتها سابقاً . وبدأت الدموع تنحدر على وجنتي ؛ لم أكن أبكي على نفسي فقط وإنما على الأولاد الذين أقنعتهم بالذهاب معي إلى تلك الغابة الموحشة[١٧٠] .

وبعد رحلة طويلة وشاقة ، وصل نيكولس أخيراً إلى طرابلس حيث كان سيّده الجديد يخطط لنقله إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة . وفي مكة لم يُسمح له بزيارة قبر النبي أو التمتع بلقب حاج وذلك لأنه لم يذهب إلى هناك بإرادته الحرة . وبعد بيعه لعدة اشخاص انتهى به المقام رقيقاً في سانت بطرسبرغ Saint Petersburg ، وعاش في عدة مدن أوروبية وأخيراً أطلق سراحه الأمير الذي كان يملكه . ورغم أنه كان يملك المال الكافي للعودة إلى إفريقيا إلا أن رجلاً أبيض أقنعه بالإبحار معه إلى أمريكا . وطاف ليس فقط في الولايات المتحدة وإنما في منطقة البحر الكاريبي وكندا أيضاً ، وقد أجبرته الظروف هناك على العمل .

(169) Nicholas Said, "A Native of Bornoo," *The Atlantic Monthly* 20 (October 1867): 485.

(١٧٠) *المصدر السابق* ، ص ٤٨٧- ٤٨٨ .

سافـر نيكولس بعد عام ١٨٦١ م إلى ديترويت حيث عمل بالتدريس في مدرسـة للسـود وانضم في عام ١٨٦٣ م إلى إحـدى الفرق العسكرية الخاصة بالسود أثناء الحرب الأهلية . وبعد أن سُرّح من الجيش في خريف عام ١٨٦٥ م تزوج ولم يرد له أي ذكر بعدها في التاريخ(١٧١) .

وقص فريدمان سانتشو كوبر Freedman Sancho Cooper قصة حياته إلى أحد أصدقائه قبل وفاته في عام ١٨٧٥ م . فقد ولد في إفريقيا في عام ١٧٨٠ م في مدينة كاوبو Cowbo وأدخل في الرق وهو في الثانية عشرة من العمر . أراد والده أن يرسله إلى إنجلترا لتلقي العلم هناك تحت رعاية السيد برايس Mr. Price ، وبينما كان في عرض البحر انقض اللصوص على السفينة وأخذوه مع الرقيق . أخذ بعدها إلى جامايكا ومكث هناك لمدة سنة إلى أن تم أخذه إلى جنوب كارولينا South Carolina حيث بيع إلى السيد كنـدا Mr. Canada ، وكـان الكـاثوليك . وأوضـح كوبـر في مذكـراتـه أيضـاً أن بعض الأفـارقـة تحولوا من الإسلام إلى النصرانية ، وبالرغم من أن ذلك كان صعباً جداً عليهم إلا أنهم وجدوا بعض التشابه بين الديانتين والذي كان كافياً بالنسبة لهم لإيجاد صلة بينهما . وذكر كوبر أنه كان قد نشأ على خشية الله ، نفس الإله الذي أعبده أنا .

> *كان أبي يعبده من قبلي ، في لغتي الأصلية كان الرب يسمى الله والمسيح يسمى محمداً*(١٧٢) .

وكشف كوبر عن عملية تحوله إلى النصرانية والتي تمت قبل سنوات عديدة . ويبـدو وكأنه قد ولد من جديد تماماً . فلم يحصل فقط على ثقة سيده ، وإنما اندمج تماماً في النصرانية .

---

(١٧١) *المصدر السابق* ، ص ٤٨٨- ٤٩٥ .

(172) Arche Vemon Huff, Jr., *The History of South Carolina in the Building of he Nation* (Alester G. Furman III, 1991), 73; and Sancho Cooper, manuscript, to [friend, ca. 1879], Walker-Wrightman Papers, MethodistChurch Archives, Sandor Teasler Library, Wafford College, Spartanburg, South Carolina.

. . . لقد منحني [د . بوكر Booker] العديد من الصلاحيات . فلقد سمح لي بإنشاد التسابيح لله وعقد الاجتماعات في فنائه ، كما جعلني وكيلاً عن فنائه ومسؤولاً رئيساً عن المشتريات ولم يطالبني بأية سجلات للأموال التي أصرفها . ولم أصب بالغرور وإنما ظل قلبي خاضعاً في شكر وتقدير لاسمه المقدس الذي حولني من إفريقي فقير ومتواضع في بلد غريب إلى رجل اكتسب ثقة سيده على هذه الأرض ، وملأ قلبي بذلك الدين الذي يجعل الرجل البسيط حكيماً ويكون صديقاً للفقير ولمن لا صديق له[173] .

كان أحفاد بعض العبيد من المسلمين يذكرون طرائف عن ممارسات المسلمين . فقد روت روزا جرانت Rosa Grant من بوسام بوينت Possum Point في ولاية جورجيا ما تذكره عما كانت تفعله جدتها في صلاتها ، وهي أمة مسلمة من إفريقيا . [كتبت روزا ذلك بلغة إنجليزية مكسّرة جداً] .

أذكر عندما كنت طفلة أنني رأيت جدتي ريان Ryan وهي تصلي ، كانت تصلي في كل صباح قبل طلوع الشمس حيث تنحني وتركع ثم ترفع رأسها وتسجد عدة مرات وتقرأ الدعاء . لا أذكر تماماً ما كانت تقوله ولكنني أذكر كلمة واحدة كانت تجعلنا نحن الأطفال نضحك . فإنني أذكر أنها كانت تقول"ashaneged" A [ربما تعني أشهد] . وكانت عندما تنتهي من صلاتها تقول آمين . . آمين . . آمين .[174] .

أما كاتي براون Catie Brown والتي عاشت في جزيرة سابيلو Sapelo Island في جورجيا وهي من أحفاد العبد المسلم بلالي محمد Belali Mohamet ، فإنها تروي أيضاً بعض ذكرياتها عن العبادات الدينية لأقاربها . فقد لاحظت استعمالهم للمسابح وأنهم يصلون في أوقات محددة . . [كتبت بلغة إنجليزية مكسّرة] .

. . . كان بلالي وزوجته فوبي Phoebe يستعملان المسبحة ، ويهتمان جداً بوقت الصلاة ويصليان حسب الوقت المحدد . يصليان عند

---

(173) Cooper المصدر السابق

(174) Raboteau, *Slave Religion*, 46.

طلوع الشمس وعندما تكون الشمس فوق الرأس تماماً وعند الغروب ، هذه هي أوقات صلاتهم ، وكانوا يركعون ويسجدون على سجادة خاصة للصلاة . . كان بلالي يقول,"Belambi Hakab Mahamadu ، *فتقول فوبي آمين ، آمين*[١٧٥] .

٩ - محمد كابا :

كان محمد كابا Muhammad Kaba أو (alias Robert Pearl & Robert Tuffit) رقيقاً في جامايكا ولد في بوكا Bouka في فوتا جالون في عام ١٧٥٨ م وينتسب إلى الماندين . اسم والده عبدالقادر Abd al-Qadir وكان رجلاً ثرياً يملك ١٤٠ من الرقيق وعددا من الخيول والماشية وقطعة من الأرض كانت تنتج له الأرز والقطن . اعتاد بيع بضاعته إلى تجار في أوروبا وغيرها . وكانت عائلته مسلمة وربما قام والده وعمه ـ الذي كان محاميا مشهورا ـ بتعليمه . في عام ١٨٧٨ م أخذه بعض اللصوص إلى ساحل البحر وباعوه رقيقاً وانتهى به الأمر كرقيق في Spice Grove, Manchester Parish في جامايكا ، وبقي على هذا الحال لمدة ٥٦ سنة من حياته ، وقد عرفت قصته من خلال تبادله للرسائل مع أبي بكر الصديق[١٧٦] .

١٠ - أبوبكر الصديق :

ولد أبو بكر الصديق في تمبوكتو حوالي عام ١٧٩٠ م . وهو ينتمي إلى جماعة الشرفاء [الأشراف؟] Shurfa في غرب السودان والتي تقول إنها من سلالة النبي . عرفت قصة حياته من خلال مقتطفات لسيرة ذاتية نشرت فيما بين عامي ١٨٣٦ م و١٨٤٢ م ، بالإضافة إلى مخطوطة منفصلة عن قصة حياته أرخها بنفسه في ١٨٣٤ م ، وقد عثر د . تشارلز هـ . ويسلي Dr. Charles H. Wesley الذي

---

(١٧٥) *المصدر السابق* .

(176) Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuku," 163-164.

عمل في جامعة هوارد Hourd على هذه الوثيقة في لندن في إنجلترا في قاع صندوق قديم وجد في مكتب جمعية مناهضة الرّق Anti-slavery Society . ورغم أن أبا بكر كان رقيقاً في جامايكا إلا أن قصته في إفريقيا هي واحدة من عدد قليل من القصص التي تحتوي على معلومات عن حياة مسلم إفريقي كتبها بنفسه . . وربما كانت تجربته مشابهة لتجارب العديد من المسلمين الأفارقة الذين كانوا رقيقاً في الولايات المتحدة .

تلقى تعليمه في جيني Jenne وهي مركز زراعي وإسلامي شهير في وسط مالي ، حيث تعلم هناك القرآن حتى بلغ سن التاسعة من العمر . تقع جيني على بعد ٢٥٠ ميلاً جنوب تمبوكتو وكان الإسلام ولايزال يلعب دوراً مهماً في حياة المدينة . مع بداية القرن الثالث عشر أعلن الرئيس السادس والعشرون لمدينة جيني تحوله للإسلام ، وسجّل المؤرخ السعدي al-Sa'di في منتصف القرن السادس عشر وجود ٤٢٠٠ مسلم هناك . وفي أيامنا هذه أصبحت مدينة عدد سكانها ١٢٠٠٠ نسمة وبها ٣٥ مدرسة ابتدائية حيث يتعلم بها الطلاب الصغار القرآن ، كما أن هناك حوالي ست مدارس ثانوية إسلامية يتعلم بها الطلاب القانون وقواعد اللغة والبلاغة والأدب والفقه والسنة النبوية وعلوم القرآن . وربما كان التعليم الذي حصل عليه أبو بكر مماثلاً لما يتعلمه المسلمون الصغار هناك اليوم[١٧٧] .

بعد سنة من التنقل بين المدن التي وجد فيها أقارب له ، أكمل أبو بكر تعليمه بدراسة قرآنية متقدمة . ومع بداية القرن التاسع عشر هزت الثورة التي سببها ـ جزئيا على الأقل ـ الصراع بين الإسلام والشرك غرب السودان ، حدث هذا الصراع بين المدن الإسلامية الشمالية التابعة للأشانتي Ashanti وغير المسلمين التابعين لمملكة الأشانتي Ashanti Kingdom . أحد نتائج هذا الاضطراب كان أسر واسترقاق أبي بكر الذي بيع في عام ١٨٠٥ م إلى الإنجليز وأرسل إلى جزر الهند

(177) Geert Mommersteeg, "Learning the World of God," *Aramco World* 42 (September-October 1991): 4.

الغربية West Indies . وقد كتب في مكانين منفصلين قصتين متشابهتين تماماً لما لاقاه أثناء أسره .

. . . في ذلك اليوم مزقوا ملابسي وربطوني بالحبال وحمّلوني حملاً ثقيلاً ثم قادوني إلى بلدة بوندوكو Bonduku . ومنها إلى بلدة كوماسي Kumasi ، التي كان يحكمها ملك الأشانتي Ashanti واسمه أوسي Osei . ومن هناك اقتادوني عبر أكيسوما Akisuma وأجوماكو Ajumako الواقعتين في أرض ا الفانتي Fanti إلى بلدة لاجو Lago الواقعة قرب بحر الملح Salt Sea . (سرت طوال الطريق ماشياً ومحملاً بحمل ثقيل)(١٧٨) .

سرد أبو بكر قصة أسره . وبالرغم من كل ما حدث له بقي محافظاً على إيمانه .

وهناك باعوني للنصارى ، واشتراني في ذلك الوقت قبطان لإحدى السفن الذي وضعني في قارب وأرسلني إلى أحد البحارة التابعين له ومن ثم ركبت في السفينة . وبقينا على ظهرها في عرض البحر لمدة ثلاثة أشهر ثم وصلنا إلى شاطىء جامايكا . كان هذا هو بداية عهدي بالرق إلى هذا اليوم . وقد ذقت مرارة العبـودية وقسوتها . ولكن الحمد لله الذي يتم كل شيء بقدره والذي يفعل ما يشاء ! ولا راد لقضائه ولا مانع لعطائه كما قال تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾(١٧٩) .

كان أول سيد له يعمل في البناء واسمه دونلان Donellan ثم باعه إلى سيد آخر اسمه هينز Haynes الذي عمّده وغيّر اسمه إلى ادوارد دونلان Edward Donel-lan (ويكتب الاسم أحياناً Doulan أو Donlan) . واشتراه الكسندر أندرسو Ale-xander Anderson في عام ١٨٢٣ م ليعمل منه مسؤولاً عن المخازن .

---

(178) Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuku," 163; and "Documents: The Life and History of Abou Bekir Sadiki, Alias Eward Doulan," *The Journal of Negro History,* 21 (January 1936): 52.

(١٧٩) *المصدر السابق .*

كان أبو بكر يحفظ السجلات باللغة العربية ، حيث إنه تعلم التحدث فقط الإنجليزية وليس القراءة أو الكتابة بها . وفي عام ١٨٣٤ م اقنع د . ر. ر. مادن Dr. R. R. Maden أندرسون Anderson بضرورة أن يعتق أبا بكر ، وكان د. مادن قاضياً خاصاً في جامايكا يشرف على تنفيذ قانون العتق الذي صدر في عام ١٨٣٣ م . وتبرع عموم أهالى كينجستون Kingston بمبلغ ٢٠ جنيهاً إسترلينياً لأبي بكر[١٨٠] .

وفي رسالة كتبها د . مادن إلى عضو البرلمان ج . س . باكنجهام J.S. Buc-kingham بتاريخ ١٩٣٤/٩/١٥ م ذكر فيها أن زنجياً أحضر أمامه ليقسم يمين الولاء ليعمل شرطياً لحراسة ممتلكات أندرسون واكتشف أنه وقع اسمه باللغة العربية . بحث مادن عن تاريخ حياته وبدأ يهتم بأمره .

أحضرته إلى بيتي : وكتب لي إفـادة تحريرية عن الـوقائع الرئيسية في حياتـه . . . وسرعان ما اكتشفت أن مؤهلاته كعالم باللغة العربية هي أقل الكفاءات التي كان يتمتع بها . وجدته رجلاً يتمتع بسلوك ممتاز وفطنة كبيرة وصبر شديد . أظن أنني إذا ما احتجت إلى نصيحة في قضية مهمة من رجل ذي بصيرة حادة واستقامة خلقية عالية للجأت بأسرع فرصة إلى نصيحة هذا الرجل الزنجي الفقير كأفضل رجل أعرفه مؤهل لذلك[١٨١] .

أعجب د . مادن Dr. Madden كثـيراً بأبي بكر لدرجة أنه قرر البحث عن طريقـة ما لإعتاقه . وقرر مادن الاتصال بأندرسون لمعرفة الخطوات التي يجب اتخـاذها لذلك . قرر أندرسون عدم قبول أي مبلغ من المال مقابل إعتاق أبي بكر . وعلم مادن (١) مدى أهمية أبي بكر وفائدته كرقيق ، (٢) وأنه كانت هناك محاولة سابقة لتحريره .

---

(١٨٠) *المصدر السابق* ، ص ١٥٢-١٥٥ .

(181) Armistead, *a Tribute for the Negro,* 241-141.

قال د . مادن : تفهمت ما قالـه أندرسون من أهمية هذا الرجل له ـ لدرجـة أنه احتفظ بكتبه (باللغة العربية) ـ وكان هذا الرجل مسؤولاً عن الحسابات الخاصة بأعمال أندرسون الكثيرة ـ باختصار لا يمكن لأي مبلغ من المال أن يعوضه عن الخدمات التي كان يؤديها هذا الرجل له . وسمعت أيضاً ـ بشكل غير مباشر ـ أن محاولة لإعتاقه قد تمت دون نجاح قبل عدة سنوات بواسطة دوق مونتيبيلو Montebello أثناء زيارته لجامايكا . . ولكن وبالرغم من فشـل الـدوق فإنني وبتواضع شديد لم أحد سبباً يحكم عليّ بالفشل في ذلك[١٨٢] .

حاول د . مادن إقناع أندرسون بأخذ مبلغ ولو بسيط من المال مقابل إعتاقه لأبي بكر ولكنه رفض . وعندما جاء يوم تحريره من العبودية ازدحم مكتب القاضي الخـاص بشخصيات مهمـة من كينجستـون Kingston وبـأنـاس يمثلون جميع الطوائف ، الذين قدموا لمشاهدة هذا الاحتفال . وقبل توقيع الأوراق تليت قصة حياة أبي بكر وشكر أندرسون على كرمه .

وقف بجانب الطاولة رجل زنجي ذو مكانة عظيمة في بلده الأصلي ، لعمل الإجراءات الخاصة بتحريره بعد سنوات طويلة من العبودية . ووقف بجـانب سيده الـذي كان مستعـداً لمنـح خادمـه حريته ليصبحا متساويين ومتكافئين فقد كان يعلم أنه هو أيضاً له سيدٌ في السماء تساقطت دموع الفرح من عيون بعض السود الذين كانوا يقفون أمامي ، كما كانت هناك ابتسامات تعبر عن الراحة حتى على وجوه الحاضرين من البيض[١٨٣] .

كتب أبو بكر رسالة في ١٨ أكتوبر ١٨٣٤م من كينجستون يجيب فيها على رسالة قصيرة من محمد كابا Muhammad Kaba وموقعة باسم روبرت توفيت Robert Tuffit بدأ أبو بكر الرسالة التي لم تزد على صفحة واحدة ـ بعرض قصير عن سيرة حياته ، ثم طلب من محمد كابا الدعاء له ولأصحابه في صلاته .

---

(١٨٢) *المصدر السابق* ، ص ٢٤٣ .

(١٨٣) *المصدر السابق* ، ص ٢٤٤ .

أرجو منك يا محمد كابا ومن جميع أصدقائي الاستمرار في الدعاء لصديقي ولي ، أما صديقي فهود . مادن الجدير بذلك وأسأل الله أن يمنحه الشرف والمكانة العالية والسعادة ، وكذلك لجميع أبنائه وأحفاده من بعده مادامت السموات والأرض . . . ابن بلدي العزيز ، إنني أرجوك أيضاً : ألا تنسى في دعائك سيّدي الكسندر أندرسون الذي منحني حريتي دون مقابل وعن طيب خاطر ، وأدعو الله أن يرزقه ويحفظه من كل سوء .

إذا أحببت مراسلتي فأرجو الكتابة لي باللغة العربية ، حيث استطيع أن أفهمها تماماً(١٨٤) .

وفي نهاية سرده القصير لقصة حياته ، تضرع أبو بكر إلى الله أن يتفهم سبب بعده عن دينه وطلب منه الغفران . صرخة الألم هذه كان لها صدى عالمي لدى كل من جُرّدوا من دينهم والذين يؤمنون بأن ذلك جعل أرواحهم في خطر إلى الأبد .

دين آبائي هو الإسلام ، كانوا جميعاً يُختنون ويصلون خمس مرات في اليوم ، ويصومون شهر رمضان ، ويدفعون الزكاة حسب نصوص شريعتهم . يمكنهم الزواج بأربع نساء ولكن الخامسة محرمة عليهم ، ويحاربون دفاعاً عن دينهم ويسافر (من يستطيع منهم) إلى الحجاز . لا يأكلون اللحوم إلا تلك التي يذبحونها بأنفسهم . لا يشربون النبيذ ولا الكحول لأنها محرمة عليهم . لا يصاحبون من يعبدون الأصنام ولا من يدنسون اسم الله ، أو يعقون آباءهم أو من يرتكبون جريمة القتل ولا من يشهدون الزور أو الحاسدين والمتكبرين أو المتفاخرين ، لأن جميع هذه العيوب محرمة في ديني . كانوا يعتنون بشكل خاص بتعليم أولادهم وحسن سلوكهم ولكنني فقدت كل هذه الفوائد منذ أن أسرت وأصبحت ضالاً ، والآن أتضرع إلى الله العظيم أن يرشدني إلى الدين الذي هو خير لي فإنه وحده يعلم أسرار قلبي وما أنا أحوج إليه (١٨٥) .

---

(184) Wilks, "Abu Bakr Al-Siddiq of Timbuktu," 165-166.

(185) Mechal Sobel, Trabelin' On: *The Slave Journey to an Afro-Baptist Faith* (Greenwood Press, Westport, Connecticut, 1979), 32 *The Journal of Negro History, "Documents," 55.*